قسم الشؤون الفكرية والثقافية

أمسِكْ لسانك

مركز الدراسات والمراجعة العلمية

الكتاب: أمسِكْ لسانك.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.
المراجعة والضبط: مركز الدراسات والمراجعة العلمية.
الإخراج الطباعي: علاء سعيد الأسدي.
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٥٠٠.

شهر محرم الحرام ١٤٤٦هـ- تموز ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلقَ الإنسان من عدم، وعلَّمَه البيانَ وأفهم، فقدمه به وكرَّم، ثم أمدَّه بلسان ما حواه القلبُ وسلَّم، فأَفْصَحَ بالشكر وتمَّمَ، وصلّى الله على نبيه وآله أهل التقى والمغنم.

إن الحديث عن اللسان يُعدُّ في طليعة الأحاديث المهمّة في المنظومة الدينية لتنظيم حياة المؤمن وجعْلها طيبة وكريمة؛ وذلك لارتباط منطق الإنسان الوثيق بقوة وضعف الشخصية، إذ إنّ من المهم أن يكون المؤمن قويًّا في دينه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر كما ذكر لنا النبي صلى الله عليه وآله حيث قال «**إن اللّه عز وجل ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل له: وما المؤمن الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهى عن المنكر**»[1] وهل توجد وسيلة مهمة فعالة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر من اللسان؟ «فما أبشع أن يكون الإنسان ضعيفاً في هذه الدنيا»[2].

النطق في كثير من الأحيان رسول الإنسان الى المجتمع وصورته،

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج ٥، ص ٥٩.

(٢) ينظر الفقرة الأخيرة من القصة القصيرة (المغفلة) للروسي أنطون تشيخوف.

وهو -أعني النطق- يختص بنقل العلم الذي في ذهن وعقل الإنسان الى باقي الناس، فإذا لحن الإنسان أي أخطأ نحوياً في الكلام دلّ ذلك على ضعفه في استعمال وإعمال قواعد النحو واعمالها، طبعًا لا يخطئ إذا أعدّ المكنة العملية في استعمال قواعد النحو واستحكمت في نفسه، فالقواعد فقط لا تجدي نفعاً وحدها، بل العمل الدؤوب والمراقبة الفعالة للسان يصقل قدراته على التقليل من اللحن في الكلام، بحيث لا يتغير حاله الى الحالة الزائلة بل يصير نطق الكلمة محركة ملكة[1] راسخة في قلبه ونفسه، فتخرج الكلمة من فمه موزونة ومضبوطة بالشكل ومحكمة نحوياً.

وإذا اخطأ في خطاباته أمام الجمهور دائماً، دلّت هذه الأخطاء المتكررة على ضعف إمكاناته الخطابية وعدم قدرته على نسج الحديث وإيصال الفكرة للجمهور المستهدف، وضعفه في طلاقة اللسان.

وإذا تحدث الإنسان بسوء وشر على الآخرين دلَّ على خبث سريرته وتردّي أخلاقه، ولا شكّ أن لسان الإنسان يعتبر هويته التي يعيش بها

---

(١) المَلَكة (بفتح اللام) هي صفة راسخة في النفس. فالنفس تحصل لها هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية، وتسمّى حالة ما دامت سريعة الزوال؛ فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة (الشريف الجرجاني. كتاب التعريفات) فصورة موجودة في الشّيء يسير زمانها، سريع زوالها. ومنزلة الحال عند الملكة منزلة إنسان يسمّى في ابتداء وجوده صبيا. فإذا استحكم وجوده دعي شيخا (البغدادي، سعيد بن هبة الله، الحدود والفروق: ص١٢).

مع الناس وفيهم، فهو يعتبر المقياس والميزان الذي يوزن به شخصية الإنسان، فالمتحدث الجيد الذي يملك صفات الجذب في عدم الأخطاء الواضحة نحوياً، و اختيار الكلمات التي تعطي للسامع معنى الرقة والدقة والعمق في الفكرة، مع اجتناب الألفاظ المكروهة لدى المتلقي و يتحلى المتحدث بالتهذيب الباطني والظاهري، والابتعاد عن الألفاظ النابية، كلّ هذا سيعطي للسامع قدرة وصف المتحدث بعبارات الجمال والرقي، فيكون في غيابه مذكوراً، و في وجوده مسروراً، والشخص الذي لا يحسن انتقاء الألفاظ ولا يهتم بها وينطق بما يشتهي مهما كانت الألفاظ والعبارات فهذا يوصف بأوصاف قد لا تليق به وتزعجه؛ لأن اللسان هو المظهر الخارجي والمعرّف لباطن الإنسان كما أشار الإمام علي عليه السلام لذلك حيث قال: «**تكلّموا تعرفوا، فإنّ المرء مخبوء تحت لسانه**»[1].

وورد عنه عليه السلام «**إِيَّاكُمْ وتَهْزِيعَ الأَخْلَاقِ وتَصْرِيفَهَا - واجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً ولْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَه - فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِه - واللَّه مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُه حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَه - وإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِه - وإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِه - لأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَه فِي نَفْسِه - فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاه وإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاه - وإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِه لَا يَدْرِي مَاذَا لَه**

(١) شرح أصول الكافي، المازندراني: ج١ ص١٨٧.

ومَاذَا عَلَيْه»[1].

فالهزع الاضطراب والاهتزاز والتهزيع شدة الاضطراب يمينًا وشمالًا، فتهزيع الأخلاق كتصريفها كناية عن التلبس بالأوصاف المتضادة والأخلاق الشريفة تارة والأخلاق الوضيعة الفاسدة مرة أخرى كما أن قوله بعد ذلك «**واجعلوا اللسان واحدًا**» أمر بالتعرج على الكلام الحق والصدق لا أن يكذب مرة ويصدق تارة، وقيل: تهزيع الشيء تكسيره والصادق إذا كذب فقد انكسر صدقه، والكريم إذا لؤم فقد انثلم كرمه فهو نهى عن حطم الكمال بمعول النقص، وتصريف الأخلاق من صرفته إذا قلبته نهى عن النفاق والتلوّن في الأخلاق وهو معنى الأمر بجعل اللسان واحدًا[2].

واللسان يترك انطباعًا على الإنسان أمام الناس، وتحدد شخصيته في الثواني الأولى في أسماع وأذهان وقلوب الآخرين، وقد أدّبنا الدين وعلمنا أهمية اللسان عبر النطق الطيب والجميل من القول، وحذرنا من نطق الكلام السيئ والقبح من القول، حيث قال صلى الله عليه وآله «**أمسك لسانك، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك**»[3].

ولا يفهم من هذا الكلام أن الدين يمنع حرية الكلام فيما يرضي الله تعالى، أبداً، كيف وتعالى كفل ذلك وتكفل بالجزاء، فقال عزّ مِنْ قائل

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج ١٠، ص ٢٦٨.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي:ج ٦٨، ص ٢٩٣.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني:، ج ٢ ص ١١٤.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2].

فحق الكلام يعتبر من الحقوق الشخصية للفرد من جهة قانونية أيضًا، طبعا بما لا يتنافى مع حقوق الآخرين، والآداب العامة للمجتمع العراقي المحافظ[3].

ولخطورة آفات اللسان ووجوب إمساكه في مواطن وإطلاقه في أخرى، سعى مركز الدراسات والمراجعة العلمية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة لأن يصدر كتيباً عن هذا الموضوع لما فيه من الأثر الاجتماعي الكبير إضافة الى إيصال الرسائل الأخلاقية الواردة عن النبي والائمة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) الى الناس، لا سيّما مع الظرف الراهن الذي يمر به المجتمع وحالة التراجع أمام القيم والأخلاق النبيلة المثلى.

(١) سورة الاحزاب: الآيتان (٧٠-٧١).

(٢) سورة الزمر: الآية ١٨.

(٣) ينظر دستور الجمهورية العراقية الباب الثاني الحقوق والحريات الفصل الأوّل والثاني: ص١٥إلى ص ٢٦.

لسان المؤمن مخلوق للخير

إن اختلاف الناس فطرة إلهية، وسواء أكان هذا الاختلاف في الطباع، كالطباع الوراثية مثل الذكاء والفطنة ام المكتسبة كالحرفة والمهارة أم بأفكارهم الطيبة أم الخبيثة منها، أم قناعاتهم كالفرضيات الثابتة لدى الإنسان بالتجربة مثل الاقتناع بوجود الجاذبية،أم غير ثابتة لديه ولكن ثبتت عند شخص لا يحتمل صدور الكذب منه، كإخبار الصادق الأمين صلى الله عليه وآله بوجود الملائكة عليهم السلام، وأصحاب الألباب المفتحة، والعقول الراجحة يُدْركون اختلاف طبيعة الناس، فيجعلون كلّ حياتهم على ما تقتضيه وتستلزمه هذه الطبيعة، وأمّا الناس أصحاب العقول البسيطة، فقد وقعوا في حيرة وندامة؛ وذلك لأنهم تصوروا متوهمين «أن الحياة أساسها وأُسّها(التوافق والتشابه)، فكلما صادف هؤلاءِ الناس أناساً يختلفون معهم أو عنهم في أمور، صار دأَبَهُمْ وشغلهم الشاغل هو الوصول إلى التفاهم والتوافق التّام معهم، وأنّى لهم ذلك! قال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[1] في الآية إِشارة الى واحدة من سنن الخلق والوجود والتي تمثّل اللبنات التحتيّة لسائر المسائل المرتبطة بالإِنسان... وهي مسألة الاختلاف

(١) سورة هود: الآية ١١٨.

والتفاوت في بناء الإنسان روحاً وفكراً وجسماً وذوقاً، ومسألة حرية الإرادة والاختيار.... لئلا يتصور أحد من الناس أنّ تأكيد الله وإصراره على طاعة أمره دليل على عدم قدرته على أن يجعلهم في سير واحد ومنهج واحد، نعم، لم يكن أي مانع أن يخلق جميع الناس بحكم إلزامه وإجباره على شاكلة واحدة، ويجعلهم مؤمنين بالحق ومجبورين على قبول الإيمان به... لكن مثل هذا الإيمان لا تكون فيه فائدة ولا في مثل هذا الاتحاد فائدة أيضًا... فالإيمان القسري الإجباري الذي ينبع من هدف غير إرادي لا يكون علامة على شخصية الفرد ولا وسيلة للتكامل، ولا يوجب الثواب كما هو الحال في خلق النحل بطريقة إجبارية والتي يدفعها بحكم الغريزة الى أن تجمع الرحيق من الأزهـار... وخلق بعوضة الملاريا خلقاً قسريا يجعلها تستقر في المستنقعات، ولا يمكن لأيّ منهما أن تتخلّى عن طريقتها، إلّا أنّ قيمة الإنسان و امتيازه وأهم ما يتفاوت فيه عن سائر الموجودات هي هذه الموهبة، وهي حرية الإرادة والاختيار، وكذلك امتلاك الأذواق والأطباع والأفكار المتفاوتة التي يصنع كلّ واحد منها قسماً من المجتمع ويؤمّن بُعداً من أبعاده[1].

فهذا الاختلاف فيه علامات وآيات لِلْعَالِمِينَ، قال تعالى ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾[2] ولولا الاختلاف المذكور لاختلّ توازن

(١) ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج ٧، ص ١٠١.

(٢) سورة الروم: الآية ٢٢.

النظام الاجتماعي البشري، ومع الاختلاف في المظهر فإنّ الباري جلّ شأنه قدّر الاختلاف والتفاوت في القابليات والاستعدادات والأذواق والرغبات، وجاء هذا النظم بمقتضى حكمته، وبه يمكن تشكيل مجتمع متكامل سليم وكلّ حوائجه ستكون مؤمَّنَة[١].

وفي الوقت نفسه نحن المسلمين علينا أوامر من الله تعالى أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر بشروط مذكورة في الكتب الفقهية في خمس نقاط إيجازها:-

١-معرفة المعروف والمنكر من قبل الشخص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

٢- احتمالية قبولها من الشخص المأمور.

٣- أن يكون الشخص المأمور بصدد الاستمرار في ترك المعروف وارتكاب المنكر.

٤- أن يكون الشخص المأمور غير معذورٍ بعذر شرعي اخر مخفي عن الآمر.

٥- ألّا يلزم على الآمر ضرراً في نفسه أو عرضه أو ماله بالمقدار المعتدّ به[٢].

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج ١٩، ص٤٨٧.

(٢) لطلب الاستزادة مراجعة كتاب (منهاج الصالحين الجزء الأول الطبعة المصححة ١٤٤٥ هـ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) الفصل الثاني في شرائطهما، السيد السيستاني دام ظلّه.

طبعا «لا يختصّ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصنف من الناس دون صنف، بل يجب عند اجتماع الشرائط المذكورة على العلماء وغيرهم والعدول والفسّاق والسلطان والرعيّة والأغنياء والفقراء، ولا يسقط وجوبه ما دام كون الشخص تاركاً للمعروف وفاعلاً للمنكر وإن قام البعض بما هو وظيفته من المقدار المتيسّر له منه»[١].

وهنا رواية للإمام الرضا أَبَي الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ «**لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسْتَعْمَلَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ فَيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ**»[٢] نلاحظ «**لَيُسْتَعْمَلَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ**» «أيْ: يجعل عليكم عاملًا حاكماً»[٣] طبعا إذا توفرت شروط كاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما مرّ، وأيضًا لا يجب أو يصح ترك هذه الفريضة من قبل المؤمنين عمدا، حينها ستستحق الأمّة هذا الحرمان من استجابة الدعاء من الأخيار.

إن كلمة (معروف) اسم مفعول، والمعروف ضدّ المنكر، وهو كلّ ما يحسن في الشرع، وقيل: هو كلّ ما سكنت إليه النفس واستحسنته. ومن أمثلة المعروف: الخير. والرزق. والإحسان. ومنه قولهم: مَنْ كَانَ آمِراً بِالمَعْرُوفِ فَلْيَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ.وقال في «مجمع البحرين»: قوله تعالى:

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج٥، ص ٥٦.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج ٩، ص ٤٨٥.

﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾[1] [2].

فالمؤمن إذا أراد أن يعمل وفقًا لإرادته تعالى عليه أن يلتزم أوامر الله سبحانه وينزجر عن نواهيه، فيكون بذلك ولي لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وللأئمة عليهم السلام قال الإمام الباقر عليه السلام: «**من كان للّه مطيعا فهو لنا ولي ومن كان للّه عاصيا فهو لنا عدو**»[3].

وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله بالتقوى وكف اللسان إلّا من تقوى حيث قال صلى الله عليه وآله: «**فاتق اللّه وكف لسانك إلا من خير ولا تقل إني هديت نفسي بل اللّه هداك فأدِّ شكر ما أنعم اللّه عز وجل به عليك ولا تكن ممّن إذا أقبل طعن في عينه وإذا أدبر طعن في قفاه**»[4] أيْ: كن من الأخيار ليمدحك الناس في وجهك وقفاك ولا تكن من الأشرار الذين يذمهم الناس في حضورهم وغيبتهم[5] كناية عن البعض الذين يذكرهم الناس بالذكر السلبي من أمامهم ووراءهم، لأنهم لم يتركوا في قلوب مخالطيهم أيّ ذكر حسن، فهم عبارة عن لسان سليط ذو كلام بذيء يقشعر البدن منه، هذا النوع من الناس مصيره النار كما روي عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**من خاف الناس لسانه فهو في النار**»[6].

(١) سورة النساء: الآية ١١٤.
(٢) معرفة الإمام، للسيد محمد حسين الطهراني: ج١٥ ص٩٧.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢ ص ٧٥.
(٤) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢ ص ٢٣.
(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦٦ ص ٩.
(٦) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢ ص ٣٢٧.

ونحن نعلم أن مثلما اليد تقتل، اللسان أيضًا يقتل، فنقرأ في زيارة الأمام أمير المؤمنين عليه السلام «**صلّى اللّه عليك يا أبا الحسن صلّى اللّه على روحك وبدنك، صبرت وأنت الصادق المصدق لعن اللّه من قتلك بالأيدي والألسن**»[١] وهذه إحدى زيارات الإمام الحسين عليه السلام «**صلوات اللّه على روحك وعلى بدنك، صدقت وأنت الصادق المصدق، وقتل اللّه من قتلك بالأيدي والألسن**»[٢] وفي زيارة أبي الفضل العباس صلوات الله عليه السلام «**قتل اللّه أمة قتلتكم بالأيدي والألسن**»[٣].

والشاهد الروائي على أن الكلمة السيئة لها أثر سيّئ وهي تقتل أيضًا ويكون صاحبها شريكًا في القتل ويحشر يوم القيامة ويعطى سهمه من دم فلان الذي تكلّم عنه ونقل الكلام حتى وصل للظالم الطاغي الجبار وقتل ذاك الشخص، فعن يونس، عن العلاء، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**يحشر العبد يوم القيامة وما ندى دما فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا ربّ إنك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً فيقول: بلى، سمعت من فلان رواية كذا وكذا، فرويتها عليه، فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها وهذا سهمك من دمه**» والمقصود «**ما ندى دماً**» أيْ: ما ابتل بدم وهو مجاز شائع بين العرب والعجم.

أيْ: أنه لم يقتله بيده فقال في النهاية: فيه من لقي الله ولم ينتدِ من

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ج٢، ص ٣٠٣.
(٢) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ص ٣٦٠.
(٣) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ص ٧٣٣.

الدم الحرام بشيء دخل الجنة أيْ: لم يصب منه شيئًا ولم ينله منه شيء كأنه نالته نداوة الدم وبلله، يقال: ما نديني من فلان شيء أكرهه ولا نديت كفّي له بشيء وقال الجوهري: المنديات: المخزيات لأنها إذا ذكرت ندي جبين صاحبها حياءً يقال: ما نديت بشيء نكرهه والمحجمة: قارورة الحجام[١].

ومن الطرف الآخر يروي التاريخ شعرًا باقيًا و الذي خلّد يوم الغدير، فهذا شعر حسان بن ثابت عندما يقول:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم واسمع بالرسول مناديا
وقد جاءه جبريل عن أمر ربه بأنك معصوم فلا تك وانيا[٢]

والإسلام يخلّد لنا شعر الفرزدق في الإمام زين العابدين عليه السلام ذاك اللسان الذي ذكر الخير وحضّ عليه، عندما وقف ذلك الموقف البطولي، قالوا لهشام: من هذا الرجل الذي منذ أن أقبل تفرقت الصفوف والحجيج إلى أن وصل إلى الحجر واستلمه بدون مشاق والناس تتبرك به تلثم يديه، قال هشام: لا أعرفه، قال: ألا تعرفه؟ أنا أعرفك به:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

والإسلام يخلّد لنا شعر الكميت:

وما لي إلّا آل أحمد شيعة ومالي إلّا مذهب الحق مذهبُ[٣]

إن الله راصد ومراقب لكلمات العبد، ومسجل لجميع أقواله،

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢ ص ٣٧١.
(٢) الغدير، الشيخ الأميني: ج٢، ص ٤٤.
(٣) ينظر موقع السيد منير الخباز (نعمة اللسان).

فلا يتصور العبد في أيّ حال من الأحوال أنّه تعالى يضيِّع منها شيئاً قال تعالى﴿**إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾[1] وأن كلَّ نفس من أنفاسنا معدودة، وألفاظنا مكتوبة، وكلّه مستنسخ مكتوب عند مليك مقتدر.

فعندما نقرأ القرآن الكريم ونتصفح كتب الروايات الشريفة، نرى أن الله يأمر بالاتِّزان بالقول والفعل، والالتزام بالتقوى والحكمة والقول السديد، فمن هذه الآيات التي أعطى الله سبحانه سببا لوضع وجعل الصلاة مثلا قوله: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾[2].

فتبين أن من آثار الصلاة هو الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، فلا خير بصلاة لا تردع صاحبها عن المنكرات، فلا يزداد بصلاته الخالية الخاوية إلّا بعدًا عن الله تعالى؛ لأنها لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء و المنكر لم يزدد من اللّه إلّا بعدا**»[3] الى آخر الآيات والروايات الحاثّة على الأخلاق الحميدة والتخلق بها.

ونحن نتكلم عن إحدى النعم العظيمة التي أنعمها سبحانه على الإنسان وهي نعمة اللسان، وهي من الاشياء التي يعبر عنها بسلاح ذي حدين، حد الخير وحد الشر، فمثلا قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ**

(١) سورة لقمان: الآية ١٦.
(٢) سورة العنكبوت: الآية٤٥.
(٣) بحار الأنوار، العلامة مجلسي: ج٧٩ ص١٩٨.

﴿آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[١] قد قرنت وجمعت الآية الكريمة التقوى بالقول السديد، وهي بنفس الوقت تخاطب المؤمنين، كأنما تقول للمؤمنين الذين لا يملكون من التقوى شيئًا، ميزته أنّ قوله غير سديد، والقول السديد من مادّة (سد) أيْ: المحكم المنيع الذي لا يعتريه الخلل، والموافق للحقّ والواقع، ويعني القول الذي يقف كالسدّ المنيع أمام أمواج الفساد والباطل، ثمَّ تبيِّن الآية التالية نتيجة القول السديد، فتقول: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، إنّ التقوى في الواقع هي دعامة إصلاح اللسان وأساسه، ومنبع قول الحقّ، والقول الحقّ أحد العوامل المؤثّرة في إصلاح الأعمال، وإصلاح الأعمال سبب مغفرة الذنوب، وذلك لـ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٢].

جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله علمني عملًا يدخلني الجنة قال: **إن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة و فك الرقبة**، فقال أوَ ليسا واحدا؟ قال: **لا، عتق الرقبة أن يتفرد بعتقها و فك الرقبة أن يعين في ثمنها، و الفيء على ذي الرحم الظالم. فإن لم يكن ذلك فأطعم الجائع و اسقِ الظمآن و أمر بالمعروف و انْهَ عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلّا من خير**[٣].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٠.
(٢) ينظر تفسير الأمثل، الشَيخ نَاصِر مَكارم الشِيرازي: ج١٣ ص٣٦٤.
(٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج ٢٠ ص١٦٥.

إن زلات اللسان تعد خطوة من الخُطُوات الخطيرة للشيطان في طريق إفساد الإنسان، وإبعاده عن التَّهذيب الرُّوحي، وانقلاب الأخلاق الفاضلة الى صفات ذميمة، والملكات الأخلاقية السَّامية الى نوازع شهوانية مقيتة، فيسعى إبليس اللعين الى بثّ سمومه في واقع الإنسان، فتنحدر الأمور خطورة حتى يصل الإنسان بالتلبس بالشيطان ليكون عينه الناظرة، ولسانه الناطق.

نحن ندرك أنّ البعض لا يستطيع تغيير ظروفه، لكنَّه على قدرة ممكنة وتامة على المحاولة لتغيير نظرته اتجاه تلك الظروف، لان كلّ قول وفعل يصدر من الإنسان ينطلق منه من خلال أفكاره التي تجمعت عنده من المعلومات التي اكتسبها من هنا أو هناك.

فمثلا لو تأملنا إحدى وصايا النبي والأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) بخصوص طريقة تفكيرنا ليوم الصوم؛ حيث إن الإنسان المؤمن لا يجعل اليوم الذي يكون فيه صائما متساويا مع غيره من الأيام؛ لأن يوم الصوم يختلف من حيث الثواب ومراقبة النفس والقول والفعل، لأن الصيام جُنّة من النار[١] وَتثْبيتاً للإخْلاص[٢] فإذا صام الإنسان المؤمن وهو يعلم هذه المعلومات القيمة عن الصوم، صام

(١) قول النبي صلى الله عليه وآله، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٦٥ ص٣٣٣.
(٢) خطبة الزهراء عليها السلام، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦ص١٠٧.

صوم العالم الراجي فيراعي ويراقب كل تصرف يصدر عنه، من هنا أمرنا النبي صلى الله عليه وآله بقوله «**إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وجلدك...: فلا يكون يوم صومك مثل يوم فطرك**»[١] و«**من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت**»[٢] فالبعض أيامهم متشابهة لا تغيرّ فيها نحو الصلاح والإصلاح، فيوم فطورهم كيوم صيامهم لا يسعون تغيير صفة سلبية واستبدالها بصفة إيجابية ساعين بجد للتخلص من تلك الصفة التي تسبب تشوه أخلاقهم، ولا يهتم للمعاصي والآثام التي يرتكبها أبدًا «وإذا تشابهت الأيام، هكذا فذلك يعني ان الناس توقفوا عن إدراك الاشياء الجميلة التي تمثُل[٣] في حياتهم، ما دامت الشمس تعبر السماء[٤]».

وعلى هذا الأساس الديني ذكر لنا التاريخ خبرا عن امرأة في زمن النبي صلى الله عليه وآله قد تلفظت بألفاظ عن جارتها فتأذى النبي صلى الله عليه وآله من ذلك، فقد ذكر الخبر الشيخ المجلسي (رضوان الله عليه) عن الإمام الصادق عن الباقر عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم قال: «**سمع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة تساب-أي تسب وتشتم - جارية لها وهي صائمة، فدعا رسول اللّه صلى الله عليه وآله بطعام فقال لها: كلي! فقالت: أنا صائمة يا رسول اللّه! فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك؟ إن الصوم ليس من**

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٩٣ ص ٢٩٢.
(٢) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، الشيخ هادي النجفي: ج٦ ص٢٥١.
(٣) مَثَّلَهُ لهُ تَمْثيلًا: صَوَّرَهُ له حتى كأنه يَنْظُرُ إليه، القاموس المحيط مادة(مِثْلُ).
(٤) مقتبس من رواية (الخيمائي) للروائي البرازيلي(باولو كويلو): ص ٤٣.

الطعام والشراب وإنما جعل اللّه ذلك حجابا عن سواهما من الفواحش من الفعل والقول يفطر الصائم، ما أقل الصوام وأكثر الجواع»[1].

هل يعقل أنْ تتحول طباع الإنسان الى هذه الدرجة، بحيث هو لا يعرفها، ويكون هو نفسه غريبا أمام نفسه، كهذه المرأة التي تعتقد انها صيامها تام وعلى أكمل وجه وليس فيه إشكال، ولكن في الحقيقة هي فقط ممتنعة عن الطعام والشراب، في حين أوضح لها النبي صلى الله عليه وآله أنها قد تجاوزت ورع الصيام وهو: عدم التجاوز على محارم الله تعالى، وقد تجاوزت الخط الفاصل بين الإيمان والفسق وهو التحرز والاحتياط في التعامل مع الناس، فلسانها فضحها على حقيقتها أمام المجتمع.

عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: «**يا هشام... كيف يزكو عند اللّه عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك**»[2]، أي كيف يطهر عن أعراض الدنيا وشوائب النقصان أو كيف يزيد وينمو عند الله «**عملك وقد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك...**» يعني لا يكون عملك طاهراً ومطهراً أو نامياً زاكياً عند الله تعالى وأنت على هذه الصفة- إشغال القلب بغير الله تعالى - لأنك إذا قمت بين يديه ولا يكون قلبك متوجهاً إليه بل يكون شاغلاً عن أمر الله وفارغاً عن ذكر الله وغافلاً عن عظمة الله وتاركاً لأحكام العقل ومقتضاها

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، الشيخ هادي النجفي: ج ٦ ص٢٥١.
(٢) مجموعة ورام: ج ٢ص٣٤.

وتابعاً للنفس الأمارة وهواها كنت تعبد بحسب الظاهر إلهاً وبحسب الحقيقة إلهاً آخر؛ لأن أصل العبادة هو الطاعة والانقياد ولذلك جعل الله سبحانه اتباع الهوى والانقياد له عبادة فقال جلّ شأنه ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾[١] وجعل طاعة الشيطان عبادة له فقال: ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ** ﴾[٢] وفي بعض الروايات «**إن إطاعة أهل المعاصي عبادة لهم**»، «**وإن من أصغى الى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يؤدي عن اللّه فقد عبد اللّه وإن كان يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان**» وهذا هو الشرك الخفي عند العارفين[٣].

وهذا كلّه لأن الإنسان ترك نفسه بين يدي الشيطان الرجيم فصار لسانهم لسانه وقدراتهم قدراته يصرفونها لمرضاة الشيطان اللعين، فقد ذكر مولانا امير المؤمنين عليه السلام حال الذين اتخذهم الشيطان مركباً فصار قوله قولهم وفعله فعلهم، حيث قال «**اِتَّخَذُوا اَلشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكاً وَاِتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً فَبَاضَ وَ فَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ وَ دَبَّ وَ دَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَ نَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ اَلزَّلَلَ وَزَيَّنَ لَهُمُ اَلْخَطَلَ فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ اَلشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَ نَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى**

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٣.
(٢) سورة يس: الآية ٦٠.
(٣) شرح أصول الكافي للمازندراني: ج١ ص ١٥٥.

لِسَانِهِ»[١].

فكيف يمكن للإنسان أن يرقى في درجات الكمال الرُّوحي ويتحرك على مُستوى إصلاح عُيوبه، والتَّخلص من رذائله الأخلاقيّة، والحال هو لا يكون إلّا شيطانا من الباطن، يمشي بين الناس فيكون من ﴿ **شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾[٢].

إن اللسان ينطق بما علم وفهم صاحبه، فإن كان قد تعلّم خيراً نطق الخير واليسر وإذا كان تعلّم وفهم شرا وعسرا، كان نطقه كذلك، وأوّل شيء يتعلّم الإنسان أن يتكلم بما يعلم ويتقن، ويسكت ويقف عندما لا يعلم؛ لأن العالم المطلق هو الله تعالى، فلا يتجاوز الإنسان على حق الله سبحانه، فعن زرارة بن أعين، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام ما حق الله على العباد؟ قال: «**أن يقولوا ما يعلمون، ويقفوا عند ما لا يعلمون**»[٣].

فحال الإنسان هنا حال الذي يبحث عن مدينة ولا يعرف طريقها، وتقابل مع شخص يسال عن نفس المدينة التي هما بصدد البحث عنها، فهل يا ترى يستطيع أن يدلّه ويرشده على هذا الطريق الصحيح السهل اليسير؟

وهل الضَّال التائه عن السبيل لتلك المدينة يعرف وجهتها،

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق صبحي الصالح: ص٥٣.
(٢) سورة الأنعام: الآية١١٢.
(٣) أصول الكافي، المازندراني: ج٣ ص١٩٤.

ويتحرك في طريق العثور عليها، قبل أن يكتشف أنّه قد ضلّ عن الطريق الصحيح أصلا؟

وهل يستطيع الإنسان أن يهيئ عدة الحرب وأسباب النجاح ووسائل دفاعته عن نفسه، وهو لا يتقن أمور الدفاع الأوّلية، ولا يعرف أصلًا أنَّ عدوًّا حاذقًا بأمور الحرب والحراب قد كَمَن وترصد وأحكم القبضة له على باب داره؟

طبعا لا، فالإجابة بالنّفي لا محال! فكَذلك من تُخْفى عنه عيوبه فإنّه لن يستطيع أن يتحرّك في عملية تغيير نفسه للأفضل، ولن يفيده أيّ طبيب روحي، على خطِّ التَّربية والإصلاح والصلاح والتَّهذيب.

إنَّ اللِّسان في الحقيقة، هو المفتاح للعلوم والثَّقافة والعقيدة والأخـلاق، وإصلاحه يُعدُّ أساساً لِكلِّ الإصلاحات الأخلاقيَّة وبعبارة أُخرى: إنَّ ما يرتسم على صفحات الرُّوح والنَّفس، يظهر قبل كلِّ شيء على فَلتات اللِّسان[1] وهذا ما أشار اليه المولى أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «**ما أضمر أحد شيئا إلّا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه**»[2].

وفد العلاء بن الحضرمي على النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسـول الله إن لي أهل بيت أحسن إليهم فيسيؤون، وأصلهم فيقطعون. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ**

(١) الأخلاق في القرآن الكريم، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج١٩ ص٢٦٢.
(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق صبحي الصالح: ص٤٧٢.

كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[1] فقال العلاء بن الحضرمي: إني قلت شعرا هو أحسن من هذا قال: **وما قلت؟** فأنشده:

وحيٍّ[2] ذوي الأضغان تسبِ قلوبهم تحيتك العظمى فقد يرفع النَغَلْ
فإن أظهروا خيرا فجازِ بمثله وإن خنسوا عنك الحديث فلا تَسَلْ
فإنّ الذي يؤذيك منك سماعه وإنّ الذي قالوا وراءك لم يُقَلْ

فقال النبي صلى الله عليه وآله: **إن من الشعر لحكما، وإن من البيان لسحرا، وإن شعرك لحسن، وإن كتاب اللّه أحسن**[3] قيل: هذا يحتمل المدح والذَّم، المدح من حيث إنَّ صاحبه قادرٌ على استمالة القلوب بحسن عبادته ولطف دلالته وإفصاح مرامه وإبلاغ كلامه، والذّم من حيث إنّه قادر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن[4].

إن اللسان في واقع الأمر هو المخرج لمكنونات الروح والقلب، وبه تعرف سعة العقول وحجم الأفكار، فهو آلة الفصاحة والبيان، نميز به الإنسان من غير الإنسان.

ومجال الخير له كبير وفي الشر أيضًا، فإذا استعمل للحكمة والقول النافع فقد فاز وسعد مستعمله في الحياة وبعدها، وإلّا فقد خسر في

---

(١) سورة فصلت: الآيتان ٣٤و٣٥.
(٢) أمر من التحية وهو السلام وإطابة الكلام، وقوله «تسب» من السبي.
(٣) الأمالي للصدوق: حديث ٣٦٥.
(٤) شرح أصول الكافي للمازندراني: ج١ ص٢٩٥.

الحياة وبعدها، فتقيده بالشرع هو المنجي من المهلكة، وبذلك يعد من شكر النعمة ووضع الشيء في موضعه.

إن من أطلق لسانه وجعل حبله على غاربه وأهمله فقد أبعده الشيطان عن طريق الحق والصلاح والهدى، فإنه لا يكبّ الناس في النار على مناخرهم إلّا حصائد ألسنتهم، أيْ: محصوداتهم، على تشبيه ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحصود بالمنجل فكما أن المنجل يقطع الزرع من غير تمييز بين رطب ويابس وجيد ورديء كذلك المكثار في الكلام بكل فن من الكلام من غير تمييز بين ما يحسن وما يقبح[١].

إن استقامة أعضاء ابن آدم كلّها من الزلل مرتبطة باستقامة لسانه من الاعوجاج فقد روي أن أعضاء الإنسان عند الصباح تخاطب اللسان وتذكره بتقوى الله فيها حيث ذكر الريشهري عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلّها تستكفي اللسان، أيْ: تقول: اتق اللّه فينا فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»[٢].

وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء، إذ العين لا تصل إلى غير الألوان والصور، والأذن لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل إلى غير الأجسام، وكذا سائر الأعضاء... ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى ولا حد، فله في الخير مجال رحب، وفي الشر ذيل سحب[٣].

---

(١) أصول الكافي، المازندراني: ج١ ص٤٧٠.
(٢) ميزان الحكمة، الريشهري: ج ٩ ص١٠١.
(٣) جامع السعادات، الشيخ النراقي: ج١ ص٢٧.

بعبارة أخرى أنّ اللسان له القدرة على الكلام والنطق وتقليب اللقمة وترطيب الشفتين... وهذه الخصيصة لا تتواجد في باقي أعضاء البدن في هذه الدنيا، فاليد لها القدرة على البطش فقط، سلبا كان أم إيجابا، والعين لها القدرة على النظرة المحرمة أو المحللة، والقدم تسير نحو الخير أو الشر، وهكذا باقي أعضاء البدن، ولكن اللسان له القدرة على أن يجمع كثيرا من الموبقات والعياذ بالله تعالى، فهو يقدر أن يستغيب وينم ويكذب ويهتك الستر، فيكون قادرا على ارتكاب شتى المحرمات والكبائر.

والجدير بالذكر أن الذنوب التي ترتكب باللسان كلّها تقريبا من الكبائر، فلو استقام لسان الإنسان فهي اشارة ودلالة واضحة على استقامة قلبه، وهي أيضًا دلالة ودليل على استقامة إيمانه، فقد ذكر في الكافي رواية عنه ﷺ حيث قال: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**»[1].

فالاستقامة للّسان يجب أن تكون مستمرة مستدامة مع الإنسان تعيش معه في أيامه ولياليه، وعليه مراقبة نفسه ولا يترك لسانه منفلتًا وحده دون مراقبة بل يمسكه ويلجمه بلجام الشرع والدين، فالخير كلّ الخير من إمساك اللسان عن الكلام الزائد الذي لا خير فيه، وكما يخزن الإنسان ذهبه وورقه من اللصوص عليه أن يخزن لسانه في فمه، ويطبق عليه لكي لا يفلت ويصيب أحدًا بأذيّة لا سامح الله تعالى، لأن «**من**

(١) أصول الكافي، المازندراني: ج٣ ص١١٦.

خاف الناس لسانه فهو في النار»[1] كما روي عن مولانا الصادق عليه السلام، فليتفكر ولينظر بحكمة لأفعاله قبل الفعل هل فيها مرضاة له تعالى أم لا؟

أوّلًا: ينظر أيْ: يتفكر بجدية ودقة متناهية، ويعتبر لكي لا يسقط في حبائل الشيطان أسيرًا ذليلًا، ولايتبع خطواته مجدًا سريعًا.

ثُمّ ثانيًا: يعوّد لسانه على السكوت والصمت الهادف، -سنتكلم لاحقا إن شاء الله تعالى بتفصيل عن الصمت-وعدم التكلّم بفضول الكلام، لكي يتسنّى له مراقبة أفعاله وأقواله عن كثب.

وثالثًا: وأخيرًا إذا اضطر وتكلم فعليه أن لا يتكلم إلّا بما فيه ذكر ورضًا لله، وصلاح وأجر للناس.

فإذا تفكّر بالكلمات وهو ساكت متأملٌ قبل أن ينطق ببنت شفة ثم تكلَّم وكان كلامه تقوى وإيمان استحق الجنة والراحة في الدنيا والآخرة.

فعن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه البررة عليهم السلام: «**أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: جمع الخير كلّه في ثلاث خصال: النظر، والسكوت، والكلام، فكلّ نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو، وكلّ سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة، وكلّ كلام ليس فيه ذكر فهو لغو، فطوبى لمن كان نظره عبرا وسكوته فكرا وكلامه ذكرا، وبكى على خطيئته، وأمن**

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢ ص ٣٢٧.

الناس شره»[1].

فالحذر الحذر من ترك اللسان وحده في هذا الدنيا الممتلئة بالموبقات والآثام، لأنه بمجرد التكلّم يُعرَف قدر الإنسان ومقداره، وحجمه العلمي، ومدى معرفته، وما النقص الذي فيه، وأيّ كمال تتمتع بها نفسه، ولينظر من أيّ منبع يتعلّم وبأيّ طريقة يتكلّم، ففي تأويل الآية ﴿ **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ** ﴾[2]علمه الذي يأخذه، عمّن يأخذه[3].

(١) المحاسن للبرقي: ص٥ ح ١٠.
(٢) سورة عبس: الآية ٢٤.
(٣) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٤ ص٢٨٧.

معنى حديث أمسِكْ لسانَك

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أمسك لسانك، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك**، ثم قال: **ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه**»[1].

شرح (أمسك لسانك فإنها صدقة)

الضمير راجع إلى الإمساك والتأنيث باعتبار الصدقة وتشبيه الإمساك بالصدقة باعتبار أنه ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة ويدفع عنه البلايا ويوجب قربه من الحق كالصدق «ثم قال: **ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه**» أشار بذلك إلى أن الإيمان لا يتم إلّا باستقامة اللسان على الحق وخزنه عن الباطل مثل الغيبة والنميمة والقذف والشتم والكذب والزور ونحوها من الأمور المضرّة؛ وذلك لأن الإيمان عبارة عن التصديق بالله ورسوله والاعتقاد بحقية ما وردت في الشريعة من المأمورات والمنهيات وغيرها وهو يستلزم استقامة اللسان وهي إقراره بالشهادتين ولوازمها وإمساكه عمّا لا ينبغي. ومن البين أن الملزوم لا يستقيم بدون استقامة اللازم، وقد أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله بقوله «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم**

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج ١٢ ص٤٩١.

لسانه»[١] وأيضًا كلّ ما يتناوله اللسان من الأباطيل والأكاذيب تدخل مفهوماتها في القلوب وهو ينافي دخول حقيقة الإيمان فيه فلا يعرف حقيقته[٢].

فاللسان آلة تنطق بما استودع من علم عند الإنسان، وهذه حقيقة واقعة معروفة للقاصي والداني، فالعالم ينطق علما وحكمة، ونحن بوصفنا مسلمين مأمورون بالعلم وطلب العلم حيث روي عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «**اطلبوا العلم ولو بخوض اللجج وشق المهج**»[٣] والجاهل المعاند الرافض للعلم يتكلم بالجهالة، فلا يتعلم إلّا جهالة من جُهّال.

ولم يتوقف توق وحب الإنسان الباحث عن الحقيقة الى التعرف والمعرفة، وتحصيل العلوم، ولذا فإن تطوُّر ذهن ووعي الإنسان، وقدراته وإمكاناته المعرفية والعلمية، لم ولن تنقطع ولا يزال قائماً مستداما، ولا يمكن أن يتوقف مهما حصل، فالعلم لا حدود له.

فالتعليم في معناه العام المشترك هو «خبرة ناتجة عن تدريب منظم ومقصود وممارسة معززة، وفعل هادف، وتغير شبه مستمر في أداء الفرد لاكتساب مهارة معينة في أيّ مجال من مجالات النمو الإنساني لتوظيفها

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق صبحي الصالح: ص٢٥٣.
(٢) شرح أصول الكافي، المازندراني: ج٨ص٣٦٣.
(٣) موسوعة العقائد الإسلامية للريشهري: ج٢ ص٢٢٠.

في دعم وتعزيز هذه المجالات»[1].

إن من معرقلات التعليم اتّباع الشهوات بلا تقنين، إن الشهوة في المعنى اللغوي، هي رغبة النفس واشتياقها إلى شيْء: «شَهِيَ الشيءَ وشَهاه يَشْهاه شَهْوَةً واشْتَهاه وتَشَهَّاه: أَحَبَّه ورَغِب فيه»[2]، لا يصدر عنها إلا أفعال البهائم وعبودية الفرج والبطن، والحرص على الجماع والأكل[3].

فشمل كل ميول وحب المال والنساء والأولاد وحب السلطة والجاه وغيره، فجاءتْ كلّها في تعبير ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ** ﴾ فالفعل(زُيِّنَ) جاء مبنيّاً للمجهول، أي إنّ الفاعل المجهول قد زيَّن للناس حبّ الزوجة والأولاد والأموال كما أشرنا أعلاه، فربّ سائل يسأل: من زيَّن للناس هذه الأُمور؟

بعض المفسّرين يرون أنّ هذه المشتهيات من عمل الشيطان الذي يزيِّنها في أعين الناس، ويستدلُّون على ذلك بالآية ٢٤ من سورة النمل: ﴿ **وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ وأمثالها، إلَّا أنّ هذا الاستدلال لا يبدو صحيحاً؛ لأنّ الكلام في الآية التي نبحث فيها لا تتكلّم عن «الأعمال»، بل عن الأموال والنساء والأبناء، إنّ التفسير الذي يبدو صحيحاً هو أنّ الله هو الذي زيَّن للناس ذلك عن طريق الخلق

(١) دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام، يوسف مدن: ص٢٦.
(٢) لسان العرب، ابن منظور: ج ١٤ص ٤٤٥.
(٣) جامع السعادات، الشيخ النراقي: ج١ ص١٥.

والفطرة والطبيعة الإنسانية، إنّ الله هو الذي جعل حبّ الأبناء والثروة في جبلّة الإنسان لكي يختبره ويسير به في طريق التربية والتكامل، كما يقول القرآن ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا** ﴾و﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾[1].

فيبحث عن تلك الشهوات التي يحاول أن يشبع منها، بل بالعكس فإنها قد تسبب له الندم والحسرة والخسران، فالسعي الحثيث وراء تلك الشهوات التي تخرج الإنسان عن حالة الاعتدال والوسطية بين استعمال الشهوات بِنَهْمٍ وامتلاء بغيضين، وبين عدم الاستجابة وتركها مكبوتة وتسبب بالتالي حالات الاكتئاب والأمراض النفسية للإنسان نعم ان فائدة وجودها «هي في بقاء البدن الذي هو آلة تحصيل كمال النفس»[2] أمّا إذا عدمت في هذه الحالة يكون البدن لا قيمة له أصلا.

فإذا كان الإنسان يجعل كلَّ قواه متجهة نحو الشهوة وكيفية التحصيل عليها، بغضِّ النظر عن الوسيلة التي يجلب بها تلك الشهوة، حتى لو كانت وسيلته الكذب أو البهتان أو الحسد أو سرقة الأموال أو غيرها، فيفعل الأشياء بحمق لتحصيل شهواته بلا وازع ديني أوعقلي، المهم أن يتحصل عليها ويملكها، بلا تفكر وتأمل وحذر وتورع، فلا

(١) تفسير الأمثل، الشَيخ نَاصِرِ مَكارم الشِيرازي: ج ٢ ص٤١٨.
(٢) تفسير الأمثل، الشَيخ نَاصِرِ مَكارم الشِيرازي: ج ٢ ص٤١٨.

يجلس ويحاسب نفسه عن مصدر رزقه ورزق عياله، تاركًا التفكير بيوم معاده حينما يسأله تعالى كيف أبلى هذا الجسد؟ ومن أين تحصّل على الأموال وكيف أنفقها؟ وكيف قضى هذا العمر وأفناه؟ وكيف ترجم محبة أهل البيت في دنياه؟ فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن جسده فيما أبلاه ؟ وعن عمره فيما أفناه ؟ وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه ؟ وعن حبنا أهل البيت**»[١].

فالعاقل لا يترك الدائم الباقي النامي الخالد مِنَ النَّعيمِ المُقِيمِ الَّذِي لا زَوالَ لَهُ وَلا اضْمِحْلالَ[٢] بحطامٍ بالٍ له وقت معين وزمن مؤقت وينتهي ويكون في خبر كان، قال تعالى: ﴿ **أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ** ﴾[٣]، ما يكون ذلك التصرف إلا من الأحمق الذي ليس له خطة مستقبلية للاخرة، وهذا الصنف من الناس لا علاج له بل يعتقد أنه أفضل الناس وأتقاهم وأعلمهم وأورعهم وكلّ الناس تحتاج إليه وهو لا يحتاج اليه طبعا إلّا أن تدركه رحمة منه تعالى فيرجع ويراجع نفسه وعمله، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن عيسى بن مريم عليه السلام قال: داويت المرضى فشفيتهم بإذن اللّه، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن اللّه، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن اللّه، وعالجت**

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧ ص٢٦١.
(٢) دعاء الندبة، إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ج ١ ص٤٧٢.
(٣) سورة البقرة: الآية ٦١.

الأحمق فلم أقدر على إصلاحه، فقيل: يا روح اللّه وما الأحمق؟ قال: المعجب برأيه ونفسه، الذي يرى الفضل كلّه له لا عليه، ويوجب الحقّ كلّه لنفسه ولا يوجب عليها حقّا، فذلك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته[1].

من هنا نفهم قول أمير المؤمنين عليه السلام «**لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه**» يعني أن العاقل يعلم الصدق والكذب أولًا واخرًا ويتفكر فيما يقول ويفعل، ثم لا يخوض بالباطل، فلا يصدر عنه إلّا الحقّ والصدق، والأحمق يتكلّم ويقول من غير تأمل وتفكّر، فيتكلّم بالكذب والباطل كثيرا[2].

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج١٤ ص٣٢٠، عن الاختصاص مخطوطة.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٦٨ ص٤.

آفاتُ اللّسان والعلاج

يصل للإنسان من أضرار هذا العضو أكثر بكثير من غيره، وهو خير آلة يستخدمها الشيطان ليضل به بني الإنسان وكلّ من يطلق العنان للسانه؛ فأنّ شيطانه يذهب به الى وادي الهلاك حيث الخذلان والعذاب الأليم[١].

الآفة هي كلُّ ما يصيب شيئاً فيفسده، من عاهة أَو مَرَض أَو قحط[٢] بمعنى أن كل صفة ذميمة تصدر عن اللسان توجد صفة حسنة ضدّها، فمنها (إفشاء السر) وضده الكتمان، ومنها (الإفساد بين الناس) وضده الإصلاح بينهم، ومنها (الشماتة بمسلم)، ومنها (المراء والجدال والخصومة) وضدهما طيب الكلام، ومنها (السخرية والاستهزاء) أو ضدهما المزاح. ومنها (الغيبة) وضدها المدح ودفع الذم، ومنها (الكذب) وضده الصدق، ولجميع آفات اللسان مما له ضد خاص، ومما ليس له ضد بخصوصه ضد عام هو الصمت، ومنها (حب الجاه والشهرة) وضده حب الخمول، ومنها (حب المدح وكراهة الذم)[٣].

(١) ينظر خمسون درسا في الأخلاق للشيخ عباس القمي (رحمه الله تعالى) الدرس الثالث والأربعون(آفات اللسان): ص١٣٠.
(٢) المعجم الوسيط (الآفَةُ).
(٣) ينظر جامع السعادات، الشيخ النراقي: ج ١ ص٩.

ثم إنّه لا يخفى أنَّ المسائل الأخلاقيَّة، تحظى بأهميَّة كبيرة في كلِّ زمـان، ولكنّها في عصرنا الحـاضر، اكتسبت أهمية خاصة، وذلك لأسباب هي:

١- إنّ قوى الانحراف وعناصر الشرِّ والفساد، قد ازدادت في هذا العصر، أكثر من جميع العصور السَّالفة، فإذا كان التّحرك في الماضي في خطِّ الباطل والانحراف، يكلِّف الإنسان مبلغاً من المال، أو شيئاً من الجهد، ففي هذا الزّمان وبسبب التَّقدم العلمي والتَّطور الحضاري، أصبحت أدوات الفساد في متناول الجميع.

٢- إنّنا نعيش في هذا العصر ضخامة المقاييس، فبينما كانت المقاييس والموازين محـدودةً في المـاضي، وبتتبع ذلك نرى محدوديّة المفاسد الاجتماعية والأخلاقيَّة، فإنَّ القتل في هذا الزَّمان بسبب أسلحة الدَّمار الشَّامل، والفساد الأخلاقي بسبب انتشار أشرطة الفيديو والسّينما الخليعة، وكذلك ما يفرزه «الإنترنيت» من معلومات فاسدة، ويضعها في متناول الجميع، كلُّ ذلك يحكي عن انفجار في دائرة الفساد والانحراف، وكسر القوالب الضَّيقة الَّتي كانت تحدد قوى الباطل في الماضي، ليسري إلى خارج الحدود، ويصل إلى أقصى بقعة في العالم.

٣- إنّنا نشاهد توسُّعاً هائلاً في العلوم النَّافعة لِلبشر، في مختلف جوانب الحياة في علوم الطِّب والفضاء، والاتصالات والمواصلات وأمثال ذلك، وكذلك الحال في العلوم الشَّيطانية ووسائل الفساد

والانحراف، حيث تطورت بشكل مذهل، الى حد أنَّ القوى الشيطانيَّة التي تقف وراء إنتاج أدوات الإفساد الإجتماعي، ويتوصلون إلى تحقيق أهدافهم بطرق ملتوية كثيرة ويسيرة، ومثل هذه الظُّروف والأجواء تحتم علينا الاهتمام بالمسائل الأخلاقية أكثر من أيِّ وقت مضى، وإلّا فعلينا أن نتوقَّع الكارثة، أو الكوارث التي تشلُّ في الناس إرادة المواجهة، وتحولهم إلى كيانات مهزوزة أمام حالات الخطر[١].

إذا لم يعرف الإنسان ما الأفضل له في الموقف الحالي، واشتبه عليه الأمر واختلط، وصار في حيرة هل يقدم الكلام أو السكوت، هنا يراجع كلامه بدقة هل فيه لله رضا وللناس أجر وثواب، أو قد تحصل من خلال كلماته وعبارته مشكلة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها، فلا يحبذ إلقاءه إلّا بعد التأكد من سلامته شرعا وعقلا، أمّا إذا تساويا، ولم يرجح أحدهما بمرجِّحٍ كجلب نفع أو دفع ضرر، فإنّ الإمام زين العابدين عليَّ بن الحسين عليه السلام فضَّل الكلام على السكوت لما سُئل عن الكلام والسكوت، أيهما أفضل؟ فقال عليه السلام: «**لكلّ واحدٍ منهما آفات، وإذا سلما من الآفات، فالكلام أفضل من السكوت: لأنّ اللّه عز وجلّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، وإنّما بعثهم بالكلام، ولا اسْتُحِقَّت الجنَّةُ بالسكوت، ولا استُوجبَتْ ولايةُ اللّه بالسكوت، ولا تُوُقيت النارُ بالسكوت. ولا يُجْنَبُ سخطُ اللّه بالسكوت**»[٢].

---

(١) الأخلاق في القرآن، الشيخ ناصر مكارم: ج ٢ ص١.
(٢) آداب المتعلّمين للخواجة الطوسي: ج ١ ص٨٩.

فإذا اختار الإنسان الكلام على السكوت والصمت، فعليه أن يراعي كثيرًا الآفات التي تفتك بلسانه وتجره الى مهاوي الشيطان اللعين، ونحن هنا نقدم أكثر الآفات إسراعا الى لسان المؤمن، لتسليط الضوء عليها وكشفها للمؤمنين الكرام أعزّهم الله تعالى ليتعرفوا عليها ويجتنبوها.

آفة الثرثرة (اللغو)

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[1].

كان النبي صلى الله عليه وآله يرفع بصره إلى السماء، فلما نزلت هذه الآية طأطأ رأسه، ونظر إلى مصلَّاه، والخشوع في الصلاة هو الخضوع بجمع الهمة لها، والاعراض عما سواها، لتدبر ما يجري فيها: من التكبير، والتسبيح، والتحميد لله، وتلاوة القرآن، وهو موقف الخاضع لربه الطالب لمرضاته بطاعاته، ثم زاد في صفاتهم فقال ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ واللغو هو القول والفعل الذي لا فائدة فيه يعتد بها، وهو قبيح على هذا الوجه[2].

في كلِّ المجتمعات نرى أو نسمع عن أشخاص أنّهم ثرثارون، فالثرثرة بمعنى ثَرْثَرَ في الشيء: أكثر منه في تخليطٍ، يقال: ثرثر في الأكل وفي الكلام، فهو ثرثار، وثَرْثَرَ الشيءَ: بدَّده وفرَّقه، والثَّرْثار: الذي يكثر الكلامَ في تكلُّفٍ وخروج عن الحدِّ[3] بمعنى أنه لا يهتم لنوعيَّة الكلام

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١-٣.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، للشيخ الطوسي: ج٧ ص٣٤٨.
(٣) المعجم الوسيط، مادة ثرثر.

فهو أو هي لا ينضبطان بأيِّ ضوابط، فيكون مستعدًا لإخراج الكلام، وطرح ما في جعبته من الأحاديث أو القصص في أيّ زمان ومكان، دون مراعاةٍ لآداب الحديث، أو اكتراث لمشاعر المحيط به، فهو لا يكتم الأسرار، لسانه أحيانا يقتل بلا سلاح، قد يوصل نفسه أو غيره للهلاك بسبب ثرثرته الزائدة.

لقد شهدت عليك الحمامة

حدث أن أحد الأمراء كان جالساً مع حاشيته وكان بينهم تاجر عمل في الماضي لصاً، فقد كان يسرق الناس في الطرقات، لكن عاد الى رشده وذهب إلى الأمير في هذا المجلس وطلب أن يسامحه على أفعاله الشريرة مع الناس.

سمع الأمير رجاءه فَرَقَّ قلبه له وقال: ليت اللصوص عائدون الى رشدهم مثلك، لقد عفوت عنك فلا تعد لهذا فَرِحَ اللص، فهو بهذا العفو يحول اللص إلى تائب، وكان الرجل التاجر التائب ثرثارة كثير الكلام فجعل يتحدث في كلّ شيء ولا يعطي فرصة الحديث لأحد في مجلس الأمير، حتى قال أحد الوزراء: كأن الكلام طعام يلتهمه، ليت الأمير سكَّت لسانه، أو لعل الكلام يقف في حلقه.

فكَّر الوزير لينهي هذه الثرثرة، فمضى إلى المطبخ وقال لرئيس الطباخين، سأذهب أمامك إلى مجلس الأمير، وما إن أجلس إلى جوار التاجر حتى تدخل علينا فتعلن أن الطعام أصبح جاهزا، فقال الطباخ:

السمع والطاعة أيها الوزير.

دخل الوزير وقد بدا الضجر والملل على وجوه الجميع، إلّا الأمير فكان هادئا باسماً يستمع للرجل باهتمام حتى لا يشعره بأن هناك ضيقا من حديثه؛ لأن الرجل لم يعتد على مجلس الأمراء ولا أدب الحديث في مجلسهم، ولم يتعلم على يد أحد من الرجال فن الحديث في مجلس الأمراء، كيف يكون مختصراً بليغاً، وبصوت هادئ فلا يعلو صوته محدثا ضجيجا ولا يخفض فيصبح همسة، وبينما كان الرجل منهمكا في حديثه أطلّ الطباخ ونادى بصوت عالٍ سيدي الأمير، الطعام جاهز تفضلوا.

عندئذٍ توقف الرجل عن الحديث، وفي أثناء تناول الطعام دخل الطباخون وهم يحملون أواني عليها حمام مشوية فوضعوا طبقا أمام الرجل، وما إن وضعوه أمامه حتى قهقه ضاحكاً بصوت عالٍ، فتعجب الأمير وسأله عن سبب ضحكته فقال: ذكرتني هذه الحمامة المشوية أيها الأمير بشيء أضحكني فقال الأمير: وما ذلك الشيء؟

قال الرجل: لما كنت قاطع طريق، شاهدت رجلا وحيدا في الجبال، فدنوت منه وسلبته جميع ما يملكه وتركته ينصرف، فركض هاربا وقد خفت أن يلتقي هذا الرجل بأحد في الطريق فيستنجد به عليّ، فتبعته ثم شهرت سيفي لأقتله فقال شاكيا: «يا هذا... أيّ شي، بيني وبينك؟ ماذا فعلت لك لتقتلني لقد سلبتني جميع ما أملك فليتك تدعني حيًّا،

فقال الأمير: إنها قصة جميلة أخبرنا بما حدث بعد ذلك، قال الرجل: لم اهتم لكلام ذلك الرجل وشهرت سيفي من جديد لأقتله فتلفت حوله فرأى حمامة في مكان قريب فصاح بها قائلاً: اشهدي لي يا حمامة عند الله أني أقتل مظلوماً، ثم ضحك عالياً وقال: ذكرتني هذه الحمامة، فغضب الأمير وقال له والله لقد شهدت عليك الحمامة وأنا سامحتك على السرقة والسلب أمّا القتل فلا، وأمر حراسه فقتلوه وكان لسانه قاتلاً له.

التخلّص من الثرثرة (اللغو)

الصمت الهادف

إنَّ لكلّ واحدة من آفات اللسان الشريرة مما يأتي ضدّاً خاصاً -أي صفة علاجية خاصة لكلٍّ رذيلة، فضد كلّ رذيلة من اللسان هناك فضيلة تصلح وتقوّم اللسان - فكذلك لجميعها ضد واحد عام هو الصمت[١].

إن أكثر المحن الدنيوية والمفاسد الدينية تنشأ من اللسان، ودواء جميع آفات اللسان الصمت، فإنه زينة العلم وستر الجاهل فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله درة من درر حكمته وهي قوله «**من صمت نجا**»[٢].

الشر في هذا العالم قد ارتكبه أناس نكرات، الشر يرتكبه من هو ليس لديه أيّ دافع سوى الشر، ولا قناعات غير قناعاتهم الفارغة من الرحمة والشفقة، ولا يعد من أصحاب الخطط الخيرية في المستقبل سوى خطط وغايات شيطانية ونيات تؤذي الناس.

بمعنى أن الشخص المرتكب لأفظع الكوارث والشرور على الأرض يرفض أن يكون إنساناً ناطقاً مفكراً؛ لأنه كما تمّ تعريف

(١) يلاحظ جامع السعادات، الشيخ النراقي: ج١ ص٣.
(٢) ينظر الأخلاق، عبد الله شبر: ص ١٥٨.

الفكر «إجراء عملية عقلية في المعلومات الحاضرة لأجل الوصول إلى المطلوب» والمطلوب هو العلم بالمجهول الغائب، وبتعبير آخر أدق: أن الفكر هو: «حركة العقل بين المعلوم والمجهول»[١] فمن التعريف نفهم لا يمكن الوصول للمعلومات التي يمتلكها الإنسان في عقله، إلّا بإجراء حوار هادف وصامت بين الشخص ونفسه، فالشرير تنازل عن هذا الحق الإنساني، والصفة الفريدة الإنسانية المميزة له، والتي هي القدرة على التفكير، ولهذا السبب لم يستطع صاحب الشر ان يستنتج ويستظهر أيّ حكم من الأحكام الأخلاقية.

فالعجز عن التفكير مكّن أناساً عاديين كثيرين من تنفيذ أفعالٍ متوحشة حيوانية وذات ضخامة وفظاعة هائلة يندى لها جبين الإنسانية، افعال لم يُرَ مثلها من قبل على الإطلاق.

وهذا الإمام المظلوم ذو الريق المسموم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يدعو المؤمنين للتفكر الدائم المستمر وقرن ذلك بتقوى الله تعالى، لأن الإنسان المتقي إذا تفكر، كان فكره بفعل الخير واجتناب الشر حيث قال عليه السلام: «**أوصيكم بتقوى اللّه، وإدامة التفكر، فإن التفكر أبو كلّ خير وأمّه**»[٢].

وهذا أبو الحسن الرضا عليه السلام في الكافي يقول: «**من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت، إن الصمت باب من أبواب الحكمة، إن**

(١) المنطق، للشيخ المظفر: ص٢٤.
(٢) ميزان الحكمة، الريشهري: ج ٨ ص١٢٧.

الصمت يكسب المحبة»[١] إنه دليل على كل خير، وروي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «**إنما شيعتنا الخُرس**» الخرس (بالضم) جمع الأخرس: أي هم لا يتكلمون باللغو والباطل وفيما لا يعلمون وفي مقام التقية، خوفا على أئمتهم وأنفسهم وإخوانهم، فكلامهم قليل فكأنهم خرس[٢].

المسألة لا تكون في المعرفة فحسب بل في القدرة على تمييز وتفصيل المعرفة بين موارد الخير والشر والجمال والقبح، فالتفكير يعطي للإنسان القدرة على تجنب الوقوع في الكوارث، إننا نعيش في حياة فيها فوضى في الكلمات وبها قدر عالٍ من التلوث الأخلاقي في الفهم، «فالصمت في مواطن الكلام فيه إشكال شرعي، والكلام في مواطن الصمت كذلك فيه إشكال شرعي»[٣].

وذكر لنا القرآن الكريم أن مريم وزكريا عليهما السلام قد صاما عن الكلام وصمتا؛ لأنه يعد في ذلك الزمان مشروعاً ومحبوباً «**ولا خلاف في حرمته بل عليه الإجماع**»[٤] في فقه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.

سؤال وجه للسيد السيستاني دام ظله: ما هو رأيكم بمَن يصوم اليوم الأول من شعبان وهو صوم يحيى بن زكريا عليه السلام والصوم هو عن الأكل

---

(١) في بعض النسخ (الجنة).
(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢ ص١١٣.
(٣) المصابيح، شرح ادعية مختارة من الصحيفة السجادية، سماحة السيد أحمد الصافي: ج٢ ص٢٣٥.
(٤) مستند الشيعة، المحقق النراقي: ج١٠ ص ٥١٠.

والشرب وعن النطق اي لا يتكلم طوال اليوم ويجعل عدم النطق من الصوم؟

الجواب: هو صوم الصمت المنهي عنه فانه بدعة محرمة[1].

فاتضح من الناحية الشرعية لا يجب أن ينوي الإنسان عدم الكلام ويجعل عدم النطق من الصوم، لكن الصمت ممدوح ومرغوب أخلاقياً.

فعلى الإنسان أن يدرك خطورة وعظم الكلمة؛ فالحكمة الشَّهيرة على لسان الحكيم لقمان وهو يوصي ولده «يا بني إن كنت زعمت أن الكلام من فضّة فالسُّكوت من ذهب»[2]، فهذه حقيقة لا يدركها إلا من جرّب لـذَّةَ الصمت، واستشعر في نفسه ذلك، فالصمت يزوِّد الإنسان بالحكمة، ويجعل عقله يجول ويصول في الكلمات والعبارات التي يسمعها هنا أو هناك بتفكر وتأمل شديدين.

(١) موقع السيد السيستاني (دام وجوده).
(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢ ص١١٤.

قرار الصمت

روي عن النبي صلى الله عليه وآله من وصايا الخضر لموسى عليه السلام: «**لا تكوننّ مكثاراً بالنطق مهذاراً، فإن كثرة النطق تشين العلماء وتبدي مساوئ السخفاء**»[1].

ان قرارنا بمراجعة انفسها يعتبر من الشجاعة، وجزءًا مهمّا من أجزاء الكمال النفسي للإنسان، فالصمت وعدم مشاركة الآخرين في بعض احاديثهم الزائدة غير المفيدة، يعطي مساحة واسعة لعقولنا بالتفكير وأخذ القرارات بهدوء وبلا ضغوط وإحراج، فهذا الفعل وحده يفيد في أمرين.

١- إمّا أننا قد بدأنا مرحلة جديدة وهي مرحلة المعالجة والتحليل للقول الذي ألقي علينا، وهنا نستطيع أن نختار الكلام والقول المفيد والاحسن، وهذا الفعل يعطي لنا دلالة على قوة عقولنا، وأنّ الله تعالى راعينا ومرشدنا نحو الحق والصدق، كما ذكر لنا القرآن ذلك بقوله ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾[2] وهذا بلا أدنى شك نوع من التفكير

(١) ميزان الحكمة الريشهري: ج ٩ ص٦٦.
(٢) سورة الزمر: الآية ١٨.

السديد الصحيح الممدوح شرعاً وعقلًا.

٢- وإمّـا أن نسمح لخيالنا أن يأخذ المساحة الكافية للإبداع والاختراع، حتى لوكنا مع أشخاص يتكلمون بأمور قد تكون ليست من اهتمامنا، ولكن هي محالة للابتعاد عن مشاركة الثرثار بثرثرته، والمشاركة في الحد عن هذه الصفة الذميمة، وهذا مسار وخط آخر من عمليات التفكير.

الانشغال بالأعمال

روي عن الإمام علي عليه السلام قوله: «**إن أحببت سلامة نفسك وستر معايبك فأقلل كلامك وأكثر صمتك، يتوفر فكرك ويستنر قلبك**»[١].

الدين الإسلامي يأمر أتباعه بسلوك مسلك اجتماعي خاص، وليس منهج اعتقاد قلبي وإيماني فقط، بل هو منهج متكامل للدين والدنيا، ويعطي قيمة لحياة الإنسان الاجتماعية الواقعية، بمعنى أن الإيمان والاعتقاد بالله تعالى وثوابت الاسلام، كلّ هذه الأمور المهمّة التي يتوقف عليها إيمان المؤمن تتجسّد في الممارسات العملية التي هي مبدأ التراحم بين الناس والتكافل للمعوزين والمحتاجين من قبل أهل الخير والمال، والتناصح ما بين الأفراد، والمودّة والمحبة للمجتمع، والإحسان وغيرها الكثير من أسس التعامل المجتمعي، فقد قال الله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾[٢]، وهذا يستدعي من المؤمنين اتخاذ أكثر ما يلزم من الواجبات الشرعية لبعضهم بعضاً، وهذا يولد حالة يقينية لا شكّ فيها في ذهن المؤمن بأنه لا يعيش وحده بل يعيش ككيان واحد كالجسد الواحد يحتضن الجميع، فأيّ حالة سلبية تحدث

(١) الأخلاق في القرآن الكريم، ناصر مكارم الشيرازي: ج١ ص٢٧٣.
(٢) سورة المائدة: الآية ٢.

عند بعض المؤمنين تعد حالة سلبية عند باقي المؤمنين ولذا تراهم يهبّون لعلاجها جميعا، حالهم حال المريض عند قوم كأنهم هم المرضى عندما يرونه على هذا الحالة المؤلمة وهو يتألم ويتأوّه من شدة الوجع الذي سببه المرض، فلا تهدأ أنفسهم حتى يعالجوه من مرضه، ويبذلون الغالي والنفيس لتخليصه من هذا الابتلاء الذي اعتراه، وهذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى**»(١).

إن إشغال الفكر بكيفية إيجاد الأعمال الصَّالحة، والحث والعمل على مساعدة النَّاس، والسعي الجدي على تفريج كروبهم، يعد ركيزة أولى من ركائز تغيّر العادة السيئة واستبدالها الى عادة حسنة محبوبة لله وممدوحة للمجتمع.

فهذا هو الخير بعينه وعيانه، فالإنسان الذي جعل نفسه منهمكة في خدمة النَّاس، والمشي في قضاء حوائجهم تراه لا يجد وقتًا للكلام الزَّائد الذي لا منفعه فيه ولا نفع منه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بالفلاح؛ لأنهم من جملة ما امتنعوا عنه اللغو الزائد والذي وصفه القرآن بـ(اللغو) حيث قال عزّ من قائل ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** ﴾(٢) وأيضًا قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَا أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ**

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٥٨ ص١٥٠.
(٢) سورة المؤمنون: الآيات١-٣.

سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَٰهِلِينَ ﴾.[1]

الإيمان بأنَّ الكلام الكثير والثَّرثرة تؤدِّي بلا شكٍّ في النِّهاية إلى كثيرٍ من الأخطاء والزَّلل في حقِّ الله تعالى والنّاس، ففي الأثر من كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه كثرت سيئاته، ومن كثرت سيِّئاته كانت النَّار أولى به، فالّذي يتكلَّم كثيرًا ويثرثر يكون عرضةً أكثر للوقوع في آفات اللسان من غيبة ونميمة وكذب وغير ذلك، وفي الحديث الشَّريف ندب من النّبيﷺ إلى ترك فضول الكلام حيث قال: «**من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت**»[2].

(١) سورة القصص: الآية ٥٥.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج١ ص٦.

روي عن الإمام الصادق انه قال «**الجهل في ثلاث: الكبر، وشدة المراء، والجهل بالله فأولئك هم الخاسرون**»[١].

ذكر في تفسير اية ﴿ **فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا** ﴾[٢] أي فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالًا ظاهرًا غير متعمق فيه، وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب، ولا تزيد، من غير تجهيل لهم، ولا تعنيف بهم في الرد عليهم، كما قال: ﴿ **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[٣] هذه تدل على جواز البحث والجدل في العلم بطريق ظاهر حسن، وتحريمه وعدم جوازه لا على ذلك الوجه المرضي الحسن، فهي مخصصة لما دل على النهي عن ذلك وتحريمه، مثل لا تمار فإن المؤمن لايماري، وهو ظاهر[٤] فـ(جدِلَ جدَلًا): اشْتَدَّتْ خُصُومتُه[٥] في ما تقدم نفهم أن صاحب (الجدال) تكثر أخطاؤه فيقع في الخصام مع غيره وليس بالضرورة هذا الغير هو عدوً له، فقد يكون من أعزّ الناس

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج١ ص١٣١.
(٢) سورة الكهف: الآية ٢٢.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥٢.
(٤) زبدة البيان في أحكام القرآن للأردبيلي: ص ٣٤٥.
(٥) المعجم الوسيط مادة (جدِل)

عليه.

إن الجدال غير الحسن يؤدي بالضرورة إلى نشر وزرع الضغينة بين المجتمع وأفراده التي، تورث الحزازية والبغضاء والأحقاد، وقد تسبب القطيعة الطويلة بين الأرحامِ والاقوام؛ لأن الجدال يتّسم بقلّة المروءة، ويمتاز بضياع الكرامة، لأنه يُشغل العقل والقلب، ويُورث النفاق والانشقاق، ويُوقع صاحبه في رذائل كثيرة منها الكبر وإهانة الآخرين، وربما الازدراء والشزر بالنظرات المتعالية على الناس، وأخذ حق الرد من الآخر.

والجدل يوغر الصدور ويزيد في الحقد، ويساهم مساهمة واضحة وفعالة في تهيج وإثارة الغضب، ويحرّض على النيل من أعراض الناس، مما يجعل كلّ من حوله يكرهه وينفر من التعامل معه، ويحمل الكل في قلوبهم الغل الكثير عليه ويتحينون الفرصة حتى يُوقعوا به.

وهذا يسمى الجدال بالباطل أو (الجدال السلبي) واتخاذ المواقف ضدّ الوقائع والآيات القائمة على أساس الدليل المنطقي، يعتبر أساساً لضلال المجادلين وتنكبهم عن جادة الهداية والصواب، وكذلك في إغواء الآخرين، حيث تنطفئ أنوار الهداية في تلك الأوساط، وتتقوّى أسس ودعائم حاكمية الباطل[1].

أمّا الجدل الإيجابي وهو (صناعة علمية يقتدر معها - حسب

(١) تفسير الأمثل، الشَيخ نَاصرِ مَكارم الشِيرازي: ج ١٥ ص٢٥٩.

الإمكان – على إقامة الحجة من المقدمات المسلمة على أي مطلوب يراد، وعلى محافظة أي وضع يتفق على وجه لا تتوجه عليه مناقضة[1].

بمعنى أن الإنسان العاقل الجدلي الذي يبحث عن الحق بالحق عليه أن يبحث عن القضايا التي لا اعتراض عليها من قبل الشخص الذي يدور النقاش معه لحل أزمة أو علاج مشكلة، وأيضًا «أن يتمكن المجادل من تقوية الآراء النافعة وتأييدها ومن إلزام المبطلين والغلبة على المشعوذين وذوي الآراء الفاسدة على وجه يدرك الجمهور ذلك»[2]، الى آخره من الفوائد الجمّة للجدل الإيجابي[3].

(١) المنطق، الشيخ المظفر: ج٣ ص٣٨٦.
(٢) المنطق، الشيخ المظفر: ج٣ ص٣٨٦.
(٣) لمن طلب الزيادة في موضوع صناعة (الجدل)، ينظر المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر: ج٣، ص٣٩٠.

آفة الكذب

هناك من المشاكل ما يتحدد خطرها في نطاق الفرد أو الأسرة، وهناك من المشاكل ما يمتد خطرها الى المجتمع والعالم، فالكذب من أخطر الآفات وأشدها فتكًا على لسان المؤمنين، بل قد يُحرم الرجل من صلاة الليل ويشح عليه رزقه إذا كذب كذبة واحدة متعمدا كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال «**إن الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها رزقه**، قلت: وكيف يحرم رزقه؟ **فقال: يحرم بها صلاة الليل فإذا حرم صلاة الليل حرم الرزق**»(١).

ان البشرية ابتليت بهذا الداء العضال، اذ يعتبر من أكثر الآفات شيوعاً، لانه سهل المؤمنة، بسيط المادة والمفردة، فيكفي فيه تحريك اللسان ببعض الكلمات، والتجوال بالخزين الذهني بالاعتماد على مخيلة المتحدث الكاذب!

حتى يصبح وللأسف عادة سائغة سهلة مترسخة على لسانه بعد فترة، فيصعب التخلص منها! من هذا المنطلق الخطير قد حرمه الإسلام، وأكد على اجتنابه فجعل نقيضه المقابل له وهو الصدق وهو علامة من علامات المؤمن. فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تنظروا**

(١) ثواب الاعمال، الشيخ الصدوق: ج ٥ ص١٣.

إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة[1].

الكذب: وهو: الإخبار بما ليس بواقع، ولا فرق في الحرمة بين ما يكون في مقام الجد وما يكون في مقام الهزل ما لم ينصب قرينة حالية أو مقالية على كونه في مقام الهزل وإلّا ففي حرمته إشكال[2].

فلا يجوز أن يتلفظ المؤمن بكلمات مبهمة وغير معروفة فيختلط المعنى عند السامع بين ان يكون هذا الكلام من الكذب أو الصدق، ولكن إذا أكد المتكلم على أن الكلام غير صحيح أصلا فهنا السيد علي السيستاني (أدامه الله تعالى) يحتاط بأن لا يتكلم بهذه الكلمات وإن كان الذي يقوله كذبا وضحا ويعرفه الناس، وهذا يحصل عند الشخص الذي يعرّف للناس أن كلامه كلّه كذب فيأتي به من باب الهزل والضحك والمزح، كأنْ يقول: أنا فعلت كذا وعملت كذا وهو واضح أنه لا يفعل أيّ شيء من الأمور التي ذكرها.

سؤال: هل يجوز الكذب من باب المزاح عموماً؟

الجواب: لا فرق في الحرمة بين ما يكون في مقام الجد وما يكون في مقام الهزل ما لم ينصب قرينة حالية أو مقالية على كونه في مقام الهزل وإلا ففي حرمته إشكال[3].

(١) أمالي الصدوق: ص ١٨٢.
(٢) منهاج الصالحين، السيد السيستاني: ج٢ ص١٥.
(٣) موقع السيد السيستاني.

آثار الكذب الهدامة:

الكذب خصلة ذميمة وعمل قبيح جدا فهو مصدر لكلّ الآثام والـشرور والخبائث المتفشية في المجتمع، فقد روي عن أبي محمد العسكري عليه السلام قـال: «**جعلت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب**».[1]

إنه مرض نفسي يبعث على سوء سمعة من يتخلق به في المجتمع، ويؤدي إلى سقوط كرامته، فلا يصدق وإن نطق بالصدق، ولا تُقبل شهادته، ولا يُوثق بمواعيده وعهوده.

يزلزل ويضعف الثقة التي بناها الإسلام بين المؤمنين، ويشيع ويكثر بينهم وفيهم إحساس التوجس والقلق والظنون المحرمة.

ومن الدوافع والحوافز القوية على تغير معنى الكلام ويثير شهوة قول الزور بسبب الطمع والجشع.

ينشر العداوة بسبب تلفيق التهم لبعضهم، وتزويق الباطل حقا، وإلصاق التهم للبعض من قبل البعض جزافا، ويستهان بالافتراءات والأباطيل ويُستساغ فعلها.

ومن خصائص رذيلة الكذب أنّ صاحبه ينسى أكاذيبه، فأحيانا كثيرة قد يخالف كذبته الأولى، وقد يلفّق أكاذيب عديدة متناقضة، يدعم بهن كذبته الأولى.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦٩ ص٢٦٣.

الغيبة واللمز والتَّنَابُز

أراد الاسلام من المجتمعات الإسلامية أن تكون جسدا واحداً متماسكًا أمـام الانحرافات الأخلاقية لكي لا يتمزق كما تمزقت المجتمعات الأخرى، وذلك بعد انتشار الظواهر المخلّة بالأخلاق الحميدة فتبدلت بأخلاق ذميمة تلبس صاحبها في الدنيا الذلّة وعدم الاحترام اجتماعياً، وتوجب له النار والخزي في الآخرة، فدور القرآن هنا تحديد الظاهرة المعيبة، والرذيلة الماحقة للدين ووضع العلاجات المناسبة لها.

إن بعض الرذائل تُظهر عيبًا من العيوب التي تكون في خَلْق الإنسان أو خُلُقه، فَلِكي يجعل الإسلام بناء نسيج المجتمع الاسلامي متيناً رصينا كالجسد الواحد، يوصينا بأن نحفظ ألسنتنا عن ذكر العيوب التي تؤذي أصحابها إذا ذكرت أمام الناس فالاحترام الكافي لإخوتنا يعتبر من التلاحم والأمن والسلم الاجتماعي بين أفراده، فلا يحتقر بلفظ أو غيره قوم قوماً آخرين، وينهانا القرآن عن التعريض بالآخرين بأيّ شكل من أشكال التعريض والإهانة كاللمز وتبادل الألقاب السيئة وسوء الظن والتجسس والغيبة، ويأمرنا بالتقوى لننال رحمة وعطف الله تعالى.

١-اللمز:-

لقد حذر الإسلام في تعاليمه الأخلاقية الناس من اللمز، وقد ورد ذلك بصورة صريحة في القرآن الكريم: ﴿ **وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾[١]، وعلاوة على ذلك فإنه أكد على مراعاة الآداب العامة والأخلاق الفاضلة مع ذوي العاهات والنقائص، فالمسلم الواقعي لا يحتقر ولا يهين بلسانه وحركاته أحداً، ولا يؤلم قلب شخص أصلا. فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن المؤمن ليسكن الى المؤمن كما يسكن الظمآن الى الماء البارد**»[٢]، ﴿ **وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ اللمز – على ما قيل – التنبيه على المعايب، وتعليق اللمز بقوله: ﴿ **أَنْفُسَكُمْ** ﴾ للإشارة إلى أنهم مجتمع واحد بعضهم من بعض، فلمز الواحد منهم غيره في الحقيقة لمز نفسه فليجتنب من أن يلمز غيره كما يكره أن يلمزه غيره، ففي قوله: ﴿ **أَنْفُسَكُمْ** ﴾ إشارة إلى حكمة النهي[٣] وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[٤].

قيل: نزلت هذه الاية في عُلْيَةَ بن زيد الحارثي وزيد بن اسلم العجلاني فجاء عليه بصاع من تمر فنثره في الصدقة، وقال: يا رسول الله عملت في النخل بصاعين فصاعا تركته لاهلي وصاعا اقرضته ربي،

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.
(٢) الطفل بين الوارثة والتربية، محمد تقي فلسفي: ج٢ ص١٥٧.
(٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٨ ص١٧٠.
(٤) سورة التوبة: الآية ٧٩.

وجاء زيد بن أسلم بصدقة فقال: معتب بن قشير وعبدالله بن نهيك إنما أراد الرياء.

وقال قتادة وغيره من المفسرين: إن هذه الاية نزلت في حجاب بن عثمان، لأنه أتى النبي صلى الله عليه وآله بصاع من تمر وقال: يا رسول الله إني عملت في النخل بصاعين من تمر فتركت للعيال صاعا وأهديت لله صاعا. وجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف دينار وهي شطر ماله للصدقة، فقال المنافقون: إن عبدالرحمن لعظيم الرياء، وقالوا في الاخر: إن الله لغني عما أتى به، فأنزل الله تعالى الآية فقال ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ** ﴾ أي ينسبونهم إلى النقص في النفس يقولون: لمزه يلمزه لمزاً إذا انتقصه وعابه والمطوعين على وزن (المتفعّلين) وتقديره المتطوعون[1].

وفسّر بعضهم الفرق بين «الهمز» و«اللمز» بأنّ «اللمز» عدّ عيوب الناس بحضورهم، و«الهمز» ذكر عيوبهم في غيابهم، كما قيل: إنّ «اللمز» تتبّع العيوب بالعين والإشارة في حين أنّ «الهمز» هو ذكر العيوب باللسان[2] وفي سورة الهمزة ﴿ **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ** ﴾ الهمز الكسر، واللمز الطعن، وشاعا في كسر الأعراض والطعن فيها[3].

٢-التنابز:-

«النبز بالتحريك هو اللقب، ويختص - على ما قيل - بما يدل

(١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ج ٥ ص٢٦١.
(٢) تفسير الأمثل، الشَيخ نَاصِرِ مَكارم الشِيرازي: ج١٦ ص٥٤٧.
(٣) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج ٤ ص٢٢٩.

على ذم، فالتنابز بالألقاب ذكر بعضهم بعضا بلقب السوء مما يكرهه كالفاسق والسفيه ونحو ذلك.

و المراد بالاسم في ﴿ **بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ** ﴾ الذكر كما يقال: شاع اسم فلان بالسخاء والجود، وعلى هذا فالمعنى: بئس الذكر ذكر الناس - بعد إيمانهم - بالفسوق فإن الحري بالمؤمن بما هو مؤمن أن يذكره بالخير ولا يطعن فيه بما يسوؤه نحو يا من أبوه كان كذا ويا من أمه كانت كذا.

ويمكن أن يكون المراد بالاسم السمة والعلامة والمعنى: بئست السمة أن يوسم الإنسان بعد الإيمان بالفسوق بأن يذكر بسمة السوء كأنْ يقال لمن اقترف معصية ثم تاب: يا صاحب المعصية الفلانية، أو المعنى: بئس الاسم أن يسم الإنسان نفسه بالفسوق بذكر الناس بما يسوؤهم من الألقاب، وعلى أي معنى كان ففي الجملة إشارة إلى حكمة النهي[1].

هناك الكثير من الأفراد الحمقى قديماً وحديثاً، ماضياً وحاضراً مولعون بالتراشق بالألفاظ القبيحة، ومن هذا المنطلق فهم يحقّرون الآخرين ويدمّرون شخصياتهم وربَّما انتقموا منهم أحياناً بهذا الطريق، وقد يتّفق أنّ شخصاً كان يعمل المنكرات سابقاً، ثمّ تاب وأناب وأخلص قلبه لله، ولكن مع ذلك نراهم يرشقونه بلقب مبتذل كاشف

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٨ ص١٧٠.

عن ماضيه! الإسلام نهى عن هذه الأُمور بصراحة ومنع من إطلاق أيّ اسم أو لقب غير مرغوب فيه يكون مدعاةً لتحقير المسلم[1].

ونقرأ في بعض الأحاديث أنّ «صفية بنت حيي بن أخطب» المرأة اليهودية التي أسلمت بعد فتح خيبر وأصبحت زوجة النّبي صلى الله عليه وآله جاءت يوماً إلى النّبي صلى الله عليه وآله وهي باكية العين فسألها النّبي صلى الله عليه وآله عن سبب بكائها فقالت: إنّ عائشة توبّخني وتقول لي يا بنت اليهودي، فقال لها النّبي صلى الله عليه وآله: «**فلمَ لا قلت لها: أبي هارون وعمّي موسى وزوجي محمّد** صلى الله عليه وآله»[2].

٣-الغيبة:-

﴿ وَ لا يَغْتَب بّعْضكُم بَعْضاً أَ يحِب أَحَدُكمْ أَن يَأْكلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾[3].

الغيبة: أن يُذكر المؤمن بعيب في غيبته، سواء أكان بقصد الانتقاص، أم لم يكن، وسواء أكان العيب في بدنه، أم في نسبه، أم في خلقه، أم في فعله، أم في قوله، أم في دينه، أم في دنياه، أم في غير ذلك مما يكون عيبا مستورا عن الناس، كما لا فرق في الذكر بين أن يكون بالقول، أم بالفعل الحاكي عن وجود العيب[4].

كما أن الظاهر أنه لا بد من تعيين المغتاب، فلو قال: واحد من أهل

(١) تفسير الأمثل، الشَيخ نَاصرِ مَكارم الشِيرازي: ج ١٦ ص٥٤٧.
(٢) مجمع البيان، الطبرسي: ج ٩ص ١٣٦.
(٣) سورة الحجرات: الآية ١٢.
(٤) منهاج الصالحين السيد السيستاني(دام ظلّه): ج ١ص١٧.

البلد جبان لا يكون غيبة، وكذا لو قال: أحد أولاد زيد جبان، نعم قد يحرم ذلك من جهة لزوم الإهانة والانتقاص لا من جهة الغيبة، ويجب عند وقوع الغيبة التوبة والندم والأحوط استحبابا الاستحلال من الشخص المغتاب إذا لم تترتب على ذلك مفسدة أو الاستغفار له[1].

موارد جواز الغيبة:

منها المتجاهر بالفسق، فيجوز اغتيابه في غير العيب المتستر به.

ومنها: الظالم لغيره، فيجوز للمظلوم غيبته والأحوط وجوبا الاقتصار على ما لو كانت الغيبة بقصد الانتصار لا مطلقاً.

سؤال: ما المقصود بالظالم الذي تجوز غيبته، وهل تجوز غيبته بقصد بث الشكوى لابقصد الانتصار؟

الجواب: يجوز للمظلوم أن يغتاب الظالم بقصد الانتصار سواء أكان ظلمه مختصاً به أم ممّا يعمّه وغيره والأحوط ترك اغتيابه بقصد بث الشكوى من دون أن يكون للانتصار[2].

ومنها: نصح المؤمن، فتجوز الغيبة بقصد النصح، كما لو استشار شخص في تزويج امرأة فيجوز نصحه، ولو استلزم إظهار عيبها، بل لا يبعد جواز ذلك ابتداءً بدون استشارة إذا علم بترتب مفسدة عظيمة على ترك النصيحة.

---

(١) منهاج الصالحين السيد السيستاني(دام ظلّه): ج ١ ص١٧.
(٢) موقع السيد السيستاني(دام ظلّه).

ومنها: ما لو قصد بالغيبة ردع المغتاب عن المنكر، فيما إذا لم يمكن الردع بغيرها.

ومنها: ما لو خيف على الدين من الشخص المغتاب، فتجوز غيبته، لئلا يترتب الضرر الديني.

ومنها: ما لو خيف على المغتاب الوقوع في الضرر اللازم حفظه عن الوقوع فيه، فتجوز غيبته لدفع ذلك عنه.

ومنها: القدح في المقالات الباطلة، وإن أدى ذلك إلى نقص في قائلها، وقد صدر عن جماعة كثيرة من العلماء القدح في القائل بقلّة التدبر، والتأمل، وسوء الفهم ونحو ذلك، وكأن صدور ذلك منهم لئلا يحصل التهاون في تحقيق الحقائق. (عصمنا الله تعالى من الزلل، ووفقنا للعلم والعمل)، إنه حسبنا ونعم الوكيل.

وقد يظهر من الروايات عن النبي والأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام أنه: يجب على سامع الغيبة أن ينصر المغتاب، ويرد عنه. وأنه إذا لم يرد خذله الله تعالى في الدنيا والآخرة. وأنه كان عليه كوزر من اغتاب[1].

بيان

الغيبة مرضٌ من الأمراض الخطيرة التي تفتك بالمجتمعات الإسلامية، إذ لا نرى جهارة في مجالسنا سلوكا منحرفا بشكل علني إلّا

(١) منهاج الصالحين السيد السيستاني(دام ظله): ج ١ ص١٧.

ووجد من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من المسلمين، ولكن أحيانا لا ينتبه المسلم لنفسه وهو قد وقع فريسة سهلة بيد الشيطان اللعين، إذ يبدأ بالاستلذاذ بمضغ لحوم إخوته المسلمين، فالغيبة وكما عبّر هنا خير الكلام بقوله عزّ من قال ﴿ **وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾[1] وقالوا إنّ جملة ﴿ **وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا** ﴾ نزلت في نفرين من الصحابة اغتابا صاحبهما «سلمان»؛ لأنّهما كانا قد بعثاه نحو النّبي صلى الله عليه وآله ليأتيهما بطعام منه، فأرسل النّبي صلى الله عليه وآله سلمانَ نحو «أسامة بن زيد» الذي كان مسؤول بيت المال فقال أسامة ليس عندي شيء الآن.. فاغتابا أسامة وقالا إنّه بخيل وقالا في شأن سلمان: لو كنّا أرسلناه إلى بئر سميحة لغاض ماؤها «وكانت بئراً غزيرة الماء» ثمّ انطلقا ليأتيا أسامة وليتجسّسا عليه، فقال لهما النّبي صلى الله عليه وآله **إنّي أرى آثار أكل اللحم على أفواهكما**: فقالا يا رسول الله لم نأكل اللحم هذا اليوم فقال رسول الله: **أجل تأكلون لحم سلمان وأسامة.** فنزلت الآية ونهت المسلمين عن الاغتياب[2].

وتعد هذه الرذيلة والسلوك، وسيلة تستعمل بيد الشيطان لتفريق وتمزيق الأعزّة والأحبّة، وبها يغطّي المستغيب على محاسن الآخرين، فهي بذرة تُنبت شرورًا في المجتمع المسلم، وتقلب موازينَ العدالة والإنصاف إلى الكذب والجور، فهي شر مستطير تؤذي وتضرّ وتجلب

(١) سورة الحجرات: الآية١٢.
(٢) ينظر تفسير الأمثل، الشَيخ نَاصرِ مَكارم الشِيرازي: ج١٦ص٥٤٤.

الخصام والنفور، مرض اجتماعي يقطع أواصر المحبة بين المسلمين، ويشتت قلوب الأحبة، ويحطم العلاقات الفردية والجماعية، وهي عامل يساعد على هتك أعراض الناس، ويساعد على تتبع عثرات الآخرين، والغيبة تؤدي إلى تقويض دعائم الثقة بين أفراد المجتمع، فلو تفشت لتحول المجتمع الإسلامي إلى كيانات فردية يحارب بعضها بعضاً؛ وذلك لأنها تُسبب رد فعل الآخر، فمن تُغتب قد يصلها الكلام بشكل أو بآخر، فتسعى للانتقام، أو الدفاع عن نفسها، مما يجعل المجتمع ساحة للصراع والعداوات وانتشار البغضاء.

نعم الغيبة لا تنحصر باللسان، بل كل ما يفهم نقصان الآخر، ويعرف ما يكرهه فهو غيبة، سواء كان بالقول أم الفعل، أم التصريح أم التعريض، أم بالإشارة والإيماء أم بالغمز والرمز، أم بالكتابة والحركة ولا ريب في أن الذكر باللسان غيبة محرمة، لتفهيمه الآخر نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه، لا لكون المفهم والمعرف لساناً، فكلّ ما كان مفهماً ومعرفاً فهو مثله، فالغيبة تتحقق بإظهار النقص بالفعل والمحاكاة، كمشية الأعرج، بل هو أشد من الغيبة باللسان؛ لأنه أعظم في التصوير والتفهيم منه، وبالإيماء والإشارة، وقد روي: أنه دخلت امرأة على عائشة، فلما ولت، أومأت بيدها أنها قصيرة. فقال رسول الله ﷺ: **قد اغتبتها**[1].

(١) جامع السعادات، الشيخ النراقي: ج ١ ص٣٢.

خطورة البهتان

وعلى ذكر الغيبة يحسن الإشارة إلى البهتان: - وهو إتّهام المؤمن، والتجنّي عليه، بما لم يفعله، وهو أشد إثماً وأعظم جرماً من الغيبة، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** ﴾.[١] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من بهت مؤمناً أو مؤمنة، أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه اللّه تعالى يوم القيامة على تلٍّ من نار، حتى يخرج مما قاله فيه**»[٢].

والفرق بين الغيبة والبهتان، أن الغيبة ذكر المؤمن بعيب فيه[٣]، أمّا البهتان فذكره بما يعيبه وليس هو فيه[٤].

---

(١) سورة النساء: الآية ١١٢

(٢) أخلاق أهل البيت عليهم السلام، محمد مهدي الصدر: ص١٥٥.

(٣) منهاج الصالحين السيد السيستاني(دام ظلّه): ج ١ ص١٧.

(٤) المسائل المنتخبة للسيد السيستاني(دام ظلّه)، الواجبات والمحرمات، رقم ٨.

النميمة معناها وبواعثها وآثارها

النميمة في اللغة:- من نمَّ، وهو إظهار الشيء وإبرازه، وأيضاً الصوت والهمس، والنَّمام من لا يبقى الكلام في جوفه[١]، وفي الشرع:- نقل الأحاديث التي يكره الناس إفشاءها ونقلها من شخص إلى آخر، نكاية بالمحكي عنه ووقيعة به[٢].

جاء رجل بكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام كتب فيه نميمة عن شخص آخر فقال له الإمام عليه السلام «**إِنْ كُنتَ صادِقاً مَقَتناكَ، وإِنْ كُنتَ كاذِباً عاقَبناكَ، وإِن أَحببتَ القَيلَ أَقَلناكَ**، قالَ: بَل تُقِيلُني يا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ»[٣].

«مشّاء بنميم» أي قتّات يسعى بالنميمة ويفسد بين الناس ويضرب بعضهم على بعض[٤] والنميمة من أبشع الجرائم الخُلقية وأخطرها في حياة الفرد والمجتمع، والنَّمام ألأم الناس وأخبثهم، لاتصافه بالغيبة، والغدر، والنفاق، والإفساد بين الناس، والتفريق بين الأحبّاء، لذلك جاء ذمّها، والتنديد في الآيات والأخبار: قال تبارك وتعالى: ﴿ **وَلَا تُطِعْ**

---

(١) معجم مقايس اللغة، ابن فارس: ج٥ ص ٣٥٨-٣٥٩.
(٢) أخلاق أهل البيت عليهم السلام، محمد مهدي الصدر: ص ١٥٥.
(٣) ميزان الحكمة، الريشهري: ج٤ ص ٦٨٥.
(٤) مجمع البيان للطبرسي: ج١٠ ص٧٦.

كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۞ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾[1]، والزنيم هو الدعيّ، فظهر من الآية الكريمة، أنّ النميمة من خلال الأدعياء، وسجايا اللقطاء، وقال سبحانه: **﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾** فالهُمزَة النمّام واللمزة المغتاب. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «ألا أُنبئكم بشراركم. قالوا: بلى يا رسول اللّه. قال: المشّاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبّة، الباغون للبراء العيب»** وقال الباقر عليه السلام: **«محرمة الجنة على العيَّابين المشائين بالنميمة»** وقال الصادق عليه السلام للمنصور: **«لا تقبل في ذي رحمك، وأهل الرعاية من أهل بيتك، قول من حرّم اللّه عليه الجنة، وجعل مأواه النار، فإن النمام شاهد زور، وشريك إبليس في الإغراء بين الناس، فقد قال اللّه تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾**[2]».[3]

بمعنى أن صاحب النميمة يكشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أم المنقول إليه أم كرهه ثالثًا، وسواء كان الكشف بالقول أم بالكتابة أم بالإشارةأم بالرمز أم بالايماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أم من الأقوال، وسواء كان عيبا أو نقصانا على المنقول عنه، أم لم يكن، بل حقيقة النميمة:- إفشاء السر وهتك السر عما يكره كشفه، بل كلّ ما

---

(١) سورة القلم: الآيات ١٠ - ١٣.

(٢) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٣) أخلاق أهل البيت عليهم السلام السيد محمد مهدي الصدر قدس سره: ١٥٥.

رآه الإنسان من أحوال الإنسان فينبغي أن يسكت عنه[1].

باع بعضهم عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب إلّا النميمة قال رضيت به فاشتراه فمكث الغلام أيامًا ثم قال لزوجة مولاه إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى (التسري:- وطء الأمة)[2] عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه شعرات حتى أسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج إن امرأتك اتخذت خليلًا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تقتله فقام وقتلها فجاء أهل المرأة وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر[3].

بواعث النميمة: للنميمة باعثان:

١ - هتك المحكيِّ عنه، والوقيعة به.

٢ - التودد والتزلف للمحكيِّ له بنمِّ الأحاديث إليه.

مساوئ النميمة:

تجمع النميمة بين رذيلتين خطيرتين: الغيبة والنَّم، فكلّ نميمة غيبة، وليست كل غيبة نميمة، فمساوئها كالغيبة، بل أنكى منها وأشُّد، لاشتمالها على إذاعة الأسرار، وهتك المحكيِّ عنه، والوقيعة فيه، وقد تسوّل سفك الدماء، واستباحة الأموال، وانتهاك صنوف الحرمات، وهدر الكرامات.

(١) رسائل الشهيد الثاني: ص٣٠٦.
(٢) جواهر الكلام للشيخ الجواهري(رضوان الله عليه): ج٣٥ ص٣٣٥.
(٣) كشف الريبة عن أحكام الغيبة، الشهيد الثاني: ص ٤٨.

كيف تُعامل النمّام؟

وحيث كان النمّام من أخطر المفسدين، وأشدِّهم إساءة وشراً بالناس، فلزم الحذر منه، والتوقي من كيده وإفساده، وذلك باتِّباع النصائح الآتية:

١ - أن يكذب النمام، لفسقه وعدم وثاقته، كما قال تعالى: ﴿ **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾[١].

٢ - أن لا يظن بأخيه المؤمن سوءاً، بمجرد النَّمِّ عليه، لقوله تعالى: ﴿ **اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾[٢].

٣ - أن لا تبعثه النميمة على التجسس والتحقق عن واقع النمّام، لقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا** ﴾[٣].

٤ - أن لا ينمّ على النمّام بحكاية نميمته، فيكون نماماً ومغتاباً، في آن واحد[٤].

فقد روي عن محمد بن الفضيل أنه قال لأبي الحسن موسى عليه السلام: «قلت له: جعلت فداك، الرجل من إخوتي يبلغني عنه الشيء الذي أكره له، فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات. فقال لي: **يا محمد، كَذِّب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون**

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٤) ينظر، أخلاق أهل البيت عليهم السلام، محمد مهدي الصدر: ص ١٥٦.

قسامة، وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه به، وتهدم به مروءته، فتكون من الذين قال اللّه عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾.(١)

الشرح

«**يا محمد، كذب سمعك وبصرك عن أخيك**» نظيره ما روي من طريق العامة عن النبي صلى الله عليه وآله قال «**رأى عيسى بن مريم عليه السلام رجلا يسرق فقال له عيسى سرقت قال كلا والذي لا إله إلّا هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت نفسي**» «**فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولا فصدقه وكذبهم**» القسّامة بالفتح الأيمان، وهؤلاء الذين يقسمون على دعواهم يسمّون قسّامة أيضا، والمقصود أنه إن شهد عندك خمسون رجلا مع حلفهم بالله أن مؤمنا فعل كذا وقال كذا وقال لك ذلك المؤمن إني لم أفعله أو لم أقله فصدقه وكذبهم، ولعل المراد بتصديقه تصديقه ظاهرا والإغماض عنه وعدم المؤاخذة به والإذاعة عليه لا الحكم بأنه صادق في نفس الأمر؛ لأنه قد يحصل العلم بخلاف ذلك بتلك الشهود خصوصا مع إيمانهم أو بالإبصار أو بالاستماع منه، والحاصل أنه إن صدرت عن المؤمن بالنسبة إليك مثلا زلات واغتياب أو غير ذلك مما تكرهه ثم اعتذر إليك فاقبل عذره أو أنكر فصدقه، وإن شهد لك شهود ثقات مع إيمان مغلظة شفقة له وتقربا من الله، وأما إن صدرت عنه بالنسبة إلى الله

(١) فرائد الأصول للشيخ الأعظم قدس سره مرتضى الأنصاري: ج٣ ص٣٤٧.

تعالى أو إلى أحد غيرك فربما وجب عليك أداء الشهادة عليه عند الحاكم وإن لم يجز لك تغييره وإذاعة عثراته بين الناس، وإن شئت زيادة توضيح فارجع إلى ما ذكرنا في باب الغيبة وباب من طلب عثرات المؤمن وباب الرواية عليه وباب التعبير من كتاب الكفر والإيمان «**لا تذيعن عليه شيئا تشينه به وتهدم به مروءته**» الإذاعة: الإفشاء والشين خلاف الزين، شانه من باب باع عابه وعيّره، والإذاعة حرام إلّا ما استثنى. «فيكون من الذين قال الله في كتابه ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ الفاحشة ما وقع النهي عنه مطلقًا وقد تخص بما يشتد قبحه[١].

ومن متممات بحث النميمة السعاية: وهي أقسى صور النميمة[٢].

والفحش:- من القول، وهو الكلام البذيء الذي يستقبح ذكره[٣].

والسبُّ:- سبُّ المؤمن ولعنه وإهانته وإذلاله وهجاؤه وإخافته وإذاعة سرّه وتتبّع عثراته والاستخفاف به لا سيّما إذا كان فقيراً.

والقذف:- قذف المحصن والمحصنة وهو: اتهام شخص بالزنا[٤] والقذف في اللغة يعني الرمي بالسهم والحصى والكلام...وغيرها[٥]

---

(١) شرح أصول الكافي المازندراني: ج٢٠ ص٢٨٣.
(٢) أخلاق أهل البيت عليهم السلام، محمد مهدي الصدر: ص ١٥٧.
(٣) المسائل المنتخبة للسيد السيستاني دام ظله الواجبات والمحرمات، المحرم رقم١٣.
(٤) الشهيد الثاني، الروضة البهية: ج٩ ص١٦٦.
(٥) الفراهيدي، العين: ج٥ ص ١٣٥.

والقذف يُقال للساب الذي يرمي المسبوب بالكلمة المؤذية[١] في الفقه يُطلق على صاحب الاتهام القاذف وعلى المتهم المقذوف[٢].

السؤال: هل يشترط في ثبوت اللعان في القذف أن يكون القاذف بالغاً؟

الجواب: نعم يشترط أن يكون بالغاً عاقلاً وأن تكون المقذوفة أيضاً بالغة عاقلة.

السؤال: لو اتهمت زوجة زوجَها بأنه زنا بامراة متزوجة ولكنه لم تأتِ بالشهود ومن ثم ذهبت إلى بيت أهلها وطالبته بالطلاق مع العلم بأن لهما طفلاً ذكر فهل تُعد ممّن تشملها آثار وأحكام مَن قذف مؤمنًا؟

الجواب: نعم يُعدُّ هذا قذفاً إلّا أن تأتيَ بأربعة شهداء عدول[٣].

وقد ذكر الفقهاء شروطا مغلظة لقبول دعوى القاذف على المقذوف يبحث فيها بالكتب الفقهية الخاصة بها، فتركناها خشية الاطالة بالمطالب الفقهية الخاصة، فلطالب الزيادة مراجعة المصادر الخاصة بالفقه[٤].

---

(١) النجفي، جواهر الكلام: ج ٤١، ص ٤٠٢.
(٢) موسوعة السيد الخوئي: ج٤١، ص٣١٤.
(٣) موقع السيد السيستاني دام ظله (الاستفتاءات) القذف (الزوج والزوجة).
(٤) يراجع كتاب اللعان، منهاج الصالحين، السيد السيستاني دام ظله: ج٣ ص٢١١.

السخرية والاستهزاء

وهو محاكاة أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم وخلقهم، قولا وفعلا، أو إيماءا وإشارة، على وجه يضحك منه، وهو لا ينفك عن الإيذاء والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص، وإن لم يكن ذلك بحضرة المستهزأ به، فيتضمن الغيبة أيضا[١].

وقد حرَّمها الشرع لايجابها العداء، وإثارة البغضاء، وإفساد العلاقات الودِّية بين أفراد المسلمين، وكيف يجروء المرء على السخرية بالمؤمن؟! واستنقاصه، وإعابته، وكلّ فرد سوى المعصوم، لا يخلو من معائب ونقائص، ولا يأمن أن تجعله عوادي الزمن يوماً ما هدفاً للسخرية والازدراء، لذلك ندد القرآن الكريم بالسخرية وحذَّر منها: فقال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ**

---

(١) جامع السعادات للنراقي: ج ٢ ص٢٢١.
(٢) سورة الحجرات: الآية ١١.

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾[1].

وقال الصادق عليه السلام: «**من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه، وهدم مروّءته، ليسقط من أعين الناس، أخرجه اللّه تعالى من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان**».

وعنه عليه السلام قال: «**قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: لا تطلبوا عثرات المؤمنين، فإنه من تتبع عثرات المؤمنين تَتَبّع اللّه عثراته، ومن تتبع اللّه عثراته يفضحه ولو في جوف بيته**» فجدير بالعاقل أن ينبذ السخرية تحرجاً من آثامها وتوقياً من غوائلها، وأن يقدّرالناس على حسب إيمانهم وصلاحهم، وحسن طويتهم غاضاً عن نقائصهم وعيوبهم، كما جاء في الخبر: «**إن اللّه تعالى أخفى أولياءه في عباده، فلا تستصغرن عبداً من عباد اللّه، فربما كان وليّه وأنت لا تعلم**»[2].

---

(١) سورة المطففين: الآيات ٢٩ - ٣٢.

(٢) أخلاق أهل البيت عليهم السلام، محمد مهدي الصدر: ١٦١.

أثر آفات اللسان على المجتمع

نحن لا نعيش في الدنيا لوحدنا، بل هناك أشخاص كثيرون يعيشون حولنا، نشكل معهم مجتمعنا الذي نعيش فيه، وقد يحصل عند معاشرة الناس والاختلاط بهم شيء من المشاحنة والمخاشنة، وعادة ما تكثر هذه الحالات في بيئات عدة متجانسة كالأسرة الواحدة، أو غير متجانسة كالمدرسة والجامعة، بل في كلّ مكان به كلام وترتفع فيه حدة الخصام.

مما يتسبب ذلك في نوع من الخصومة والمنازعة، وذاك كلّه بسبب نزغ الشيطان بينهم، وترصدّه بهم، ووعده بالإفساد فيما بينهم، وإبعاده لهم عن القول السديد، والرأي الرشيد، والكلام الحسن، وإدخالهم بالإحن والمحن.

وهنالك الآثار عدة غير ملتفِت إليها ويمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

١- كثرة سوء الظن بين الناس مما يسبب امتلاء القلوب بالغلِّ والقسوة.

٢-عدم تحديد قدوة صالحة عند بعض الناس.

٣- الأنانية وانتشار حب الذات السلبي.

٤- الجرأة على الكبير وعدم احترامه.

٥- إفشاء السر.

٦-ضياع الهدف من الكلام وعدم تحمل مسؤولية نطق المفردة.

٧- تقليد بعض المفردات والألفاظ البذيئة.

٨- السخرية والاستهزاء وأيضًا الانتقاد اللاذع للآخرين.

٩-انتشار الجهل في الدين والاهتمام بإشباع ملذّات النفس ورغباتها.

تغيرمسار اللسان الى الصلاح

ذكر الله تعالى

ذكر علماء الأخلاق، أن ذكر الله تعالى، على مراتب ومراحل:

المرحلة الأولى:

الذِّكر اللَّفظي، حيث يجري فيها الإنسان أسماء الله الحُسنى، وصفات جَماله وجَلاله، على لسانه، من دون التَّوجه إلى معانيها ومُحتواها، كما يفعل كثيرٌ من المصلِّين السَّاهين في صلاتهم، وهو نوع من الذِّكر، وله تأثيره المحدود على آفاق النَّفس والفِكر! ولكن لماذا؟

لأنَّه أوَّلاً: يعتبر مقدمةً لِلمراحل التَّالية.

وثانياً: أنَّه لا يخلو من التَّوجه الإجمالي نحو الله تعالى؛ لأنَّ المصلي وعلى أيّةِ حالٍ، يعلم أنّه يصلِّي وهو واقفٌ بين يَدَيِّ الله تعالى، ولكنَّه لا يتوجه لما يقول بصورةٍ تَفصيليَّةٍ، ولكن مع ذلك فهذا النَّوع من الذَّكر، لا يؤثِّر في حياة الإنسان، على مستوى تهذيب النَّفس وتربية الأخلاق.

المرحلة الثانية:

الذِّكر المعنوي، وهو أن يلتفت الإنسان لمعاني الأذكار التي تجري على لسانه، ومن البديهي أنَّ التَّوجه لمعاني الأذكار، وخصوصيَّة كلِّ

واحدةٍ منها، سيعمِّق الامتداد المعنوي لمضامين الذِّكر في واقع الإنسان، وبالاستمرار والمداومة سيحسُّ الذَّاكر، بمعطيات هذا الذِّكر في نفسه وروحِهِ.

المرحلة الثَّالثة:

الذِّكر القلبي، وقالوا في تفسيره، إنّه الإحساس الوجداني بحضور الله تعالى، في أجواء القلب، ثم جريان ذكر الله على اللِّسان، فعندما يرى عجائب خلقته، ودقائق صنعته، من أرضٍ وسماءٍ ومخلوقاتٍ، وما بثَّ فيها من دابَّةٍ، سيقول: «العَظَمَةُ لله الوَاحِدِ القهَّارِ» فهذا الذِّكر نابعٌ من القلب، وينبئ عن حالةٍ باطنيّةٍ في داخل الإنسان.

ومـرَّةَ يشهد الإنسان في نفسه، نوعاً من الحُضور المعنوي لله تعالى، من دون واسطةٍ، فيترنَّم بأذكارٍ، مثل «يا سُبُّوحُ وَيا قُدُّوسُ» أو «سُبحانَكَ لا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ».وهذه الأذكار القلبيَّة، لها دورها الفاعل في تهذيب النُّفوس وتربية الفضائل الأخلاقيَّة، كما عاشت الملائكة هذا النوع من الذِّكر، عندما شاهدوا آدم عليه السلام، وسِعة علمه واطلَّاعه على الأسماء الإلهيّة، فقالوا: ﴿ **قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾، وأشار القرآن الكريم، إلى مراحلٍ من الذّكر، فقال: ﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً** ﴾، وفي مكانٍ آخر، يقول: ﴿ **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ** ﴾، ففي الآية الأولى، نجد تقريراً على مستوى التَّوجه لِلذكر اللَّفظي العميق، ثم التَّبتل والانقطاع إلى الله

تعالى، أَي: التَّحرك من موقع الابتعاد عن الناس، والاتصال بالله تعالى في خطِّ العبادة والذِّكر، والآية الثَّانية: تتحدث عن الذِّكر القلبي، الذي يؤدِّي إلى أن يعيش الإنسان، حالة التَّضرع والخوف من الباري تعالى، في أجواء الذكر الخفي، فتتحرك عمليَّة الذِّكر بشكلٍ بطيءٍ من الباطن وتجري على اللِّسان[1].

(١) الأخلاق في القران الكريم، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج١ ص٣٠٩.

تم بحمد الله

المصادر والمراجع

القران الكريم .

- جواهر الكلام ،محمد حسن نجف.
- معجم مقاييس اللغة ،ابن فارس .
- الاعمال ،السيد ابن طاووس .
- الأمالي ،للصدوق.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
- الخيمائي ،باولو كويلو(رواية) .
- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ،الشهيد الثاني زين الدين بن علي الجبعي العاملي .
- أخلاق اهل البيت ،محمد مهدي الصدر.
- الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي فلسفي.
- المسائل المنتخبة، السيد السيستاني (دام ظله).
- المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، محمد باقر المجلسي.
- تفسير الصافي ، للفيض الكاشاني .
- ثواب الاعمال ،الشيخ الصدوق .
- جامع السعادات ،الشيخ محمد مهدي النراقي .
- دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن (عليه السلام) ، يوسف مدن.
- رسائل الشهيد الثاني ، الشهيد الثاني زين الدين بن علي الجبعي العاملي.
- زبدة البيان في أحكام القران ،الإردبيلي.
- شرح أصول الكافي ،المازندراني .

- فرائد الأصولي ،الشيخ مرتضى الأنصاري .
- كشف الريبة عن أحكام الغيبة ،الشهيد الثاني زين الدين بن علي الجبعي العاملي .
- لسان العرب ،ابن منظور محمد بن مكرم .
- مجمع البيان ،الطبرسي.
- مجموعة ورام (تنبيه الخواطر تنزيه النواظر) لأبي الحسين ورَام بن أبي فارس المالكي الأشتري.
- مستند الشيعة في أحكام الشريعة، أحمد بن محمد مهدي النراقي .
- منهاج الصالحين ، السيد السيستاني (دام ظله).
- موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)الشيخ هادي النجفي.
- موسوعة العقائد الإسلامية ،محمد الريشهري .
- موقع السيد السيستاني (دام ظله).
- نهج البلاغة، خطب الامام علي (عليه السلام) تحقيق صبحي الصالح.
- خمسون درسا في الاخلاق ،الشيخ عباس القمي .
- آداب المتعلمين ،للخواجة الطوسي.
- أصول الكافي ،الشيخ الكليني .
- الأخلاق في القرآن الكريم ،الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
- التبيان في تفسير القرآن ،الشيخ الطوسي.
- القاموس المحيط ،للفيروز آبادي .
- المحاسن ،للبرقي.
- المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر.
- الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي.
- موقع السيد الخباز(نعمة اللسان).
- ميزان الحكمة ،محمد الريشهري.

المحتويات

المقدمة	٥
لسان المؤمن مخلوق للخير	١٠
الألفاظ السيئة دلالة على الأفكار القلبية السيئة	١٩
معنى حديث أمسِكْ لسانَك	٣٠
آفاتُ اللّسان والعلاج	٣٦
آفة الثرثرة(اللغو)	٤٠
التخلّص من الثرثرة(اللغو)	٤٤
قرار الصمت	٤٨
الانشغال بالأعمال	٥٠
آفة الجدل	٥٣
آفة الكذب	٥٦
الغيبة واللمز والتَّنَابُز	٥٩
خطورة البهتان	٦٨
النميمة معناها وبواعثها وآثارها	٦٩
السخرية والاستهزاء	٧٦
أثر آفات اللسان على المجتمع	٧٨
تغير مسار اللسان الى الصلاح	٨٠
المصادر والمراجع	٨٦